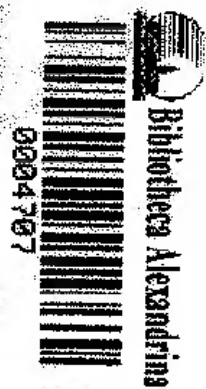


شجرة الكون

لمؤلفنا الشيخ الأكبر
محى الدين بن عسري

ضبطه ومنقحه وقرمه له
رياض العبد الله



شجرة الكون

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

شجرة الكون

لمؤلفه الشيخ الأكبر

محي الدين بن عربي

خطه ومفقه وقدم له
رياض العبد الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لَكُلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ

أُضِلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ

أَشَدُّ اللَّهُ الْعَظِيمِ

مقدمة :

ربنا الله سبحانه وتعالى : له العبادة .. وإليه الاتجاه ..
ومنه الغشية .. وعليه الاعتماد .. لا احتكام إلا إليه ..
ولا سلطان إلا لشريعته .. ولا اعتداء إلا بهداه .. والحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لننتهدي لولا أن هدانا الله سبحانه
وتعالى .. والصلاة والسلام على أشرف الخلق ومبعوث الحق سيدنا
ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد :

ان هذا الكتاب الذي بين يديك هو لشيخ مشايخ الصوفية ..
وإمام أئمة الطرائق الاسلامية .. وفيلسوف زمانه .. ووحيد
عصره .. العارف بالله الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضوان
الله عليه ...

ولقد اخترت كتابه هذا « شجرة الكون » من بين كتبه ورسائله
التي تعدت الأربعمئة مؤلف .. وان اختياري لهذا الكتاب كان

لسببين : الأول : لما وجدت في لبابه من التجلي في معرفة حقيقة هذا
الكون بما فيه وعليه .. والثاني : لما سنقطف من ثمار هذه المعرفة
التي تتجلى بإيجاد هذا الكون ...

وعلى كل حال .. انه لمن دواعي سروري أن التقط بيدي القلم
وأجدد ما ألفه الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضوان الله عليه
باسلوبه الرقيق والسامي .. سائلا الله سبحانه وتعالى أن يهدي
بهذا الكتاب وينفع .. وأن يجعلنا ممن رضي لهم قولا وعملا ..
ان الله هو البر الرحيم .. والسلام على سيد المرسلين .. والحمد لله
رب العالمين ...

رياض



تصدير :

ان للشيخ الأكبر « محي الدين بن عربي » رضوان الله عليه .. من المؤلفات التي لا يكاد العقل أن يتصور صدورها عن مؤلف واحد وخاصة ابن عربي .. فقد شغل ابن عربي شطراً من حياته بالآداب والصيد .. وذلك في سني شبابه .. ومن ثم فقد شغل بما يُشغل به الصوفية^(١) أنفسهم من ضروب العبادات والمجاهدة .. والمراقبة

(١) الصوفي : ج .. صوفية .. وهو عند أهل التصوف .. من كان فان بنفسه .. باق بالله سبحانه وتعالى .. مُستخلص من الطبائع .. متصل بحقيقة الحقائق .. نسبتها الى « سوفوس » بمعنى « حكمة » .. والتصوف هو التخلق بالأخلاق الإلهية .. أو الوقوف مع الآداب الشرعية .. ظاهراً : يرى حكمة من الظاهر في الباطن .. وباطناً : يرى حكمة من الباطن في الظاهر .. فيحصل بذلك للمتأدب حكمتين فيهما كمال .. والتصوف مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل .. وقيل : هو تصفية القلب عن موافقة البرية .. ومفارقة الأخلاق الطبيعية .. وإخماد الصفات البشرية .. ومجاهدة الدعاوي النفسانية .. ومنازلة الصفات الروحانية .. والتعلق بعلوم الحقيقة .. واستعمال ما هو أولى على السرمدية « أي ماله أول ولا آخر » والنصح لجميع الأمة .. والوفاء لله تعالى على الحقيقة .. واتباع رسوله ﷺ في الشريعة .. وقيل : هو ترك الاختيار .. وقيل : هو بذل المجهود .. والإنس بالمعبود .. وقيل : مراقبة الأحوال .. ولزوم الأدب .. والأعراض عن الاعتراض .. والانقياد الى الحق .. والأخذ بالحقائق .. والأعراض عما في أيدي الناس .. وأما خرقه التصوف : فهي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخّل في إرادته .. ويثوب على يديه .. وأما المجاهد : هو الذي يجاهد لطلب درجة الصوفية ... وأما المستصوف : فهو الذي يشبه نفسه بالصوفي ...

والمحاسبة .. ومع كل ذلك .. فان أردنا أن نقيس ابن عربي بغيره
من كبار مؤلفي الاسلام المتفلسفين أمثال : ابن طفيل - ابن رشد -
الغزالي - ابن سينا .. الخ .. لنَبْدَهُم " جميعاً في ميدان التأليف من
فاحية الكم والكيف على السواء ...

ولقد وصفه المستشرق الألماني كارل بروكلمان بقوله :
وان ابن عربي ذلك الفيلسوف القدير .. والمتصوف النبيل ..
هو من أخصب المؤلفين عقلاً .. وأوسعهم خيالاً ...

وبهذا فان محي الدين بن عربي يعتبر من أغزر كتاب المسلمين
علماء .. وأوسعهم أفقاً .. وأسبقهم الى العبقرية الفذة في ميدان
دخل فيه الكثير من قبله وبعده .. إلا أنهم لم يخرجوا بمثل ما خرج
به ابن عربي ...

ولا مبالغة في القول : ان الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي
يعتبر بلا شك أو جدل .. من المسلمين الأعظم غوراً .. والأكبر
قدراً .. والأرفع أثراً .. وذلك في مجال تشكيل العقيدة الصوفية
متلبسة بفلسفة سامية .. في عصره وفي الأجيال التي تلتها ...

فقد خلّف ابن عربي ثروة لاتقدر من المخطوطات والرسائل ..
عسى أن ينتفع بها المؤمنون ...

هذا هو ابن عربي .. الصوفي النبيل .. والفيلسوف القدير ..
فريد عصره ووحيد زمانه .. رضوان الله عليه ...

١- ولادته ونشأته :

هو : أبو بكر محمد بن علي .. من قبيلة حاتم الطائي (١) ..
والمعروف باسم : ابن عربي .. وبالقاب : « محي الدين - الشيخ
الأكبر - ابن افلاطون (٢) » ...

ولد محي الدين بن عربي في مدينة « مرسيه (٣) » في السابع عشر
من شهر رمضان سنة ٥٦٠ هـ الموافق ٢٨ تموز سنة ١١٦٥ م ..

(١) هو حاتم بن عبد الله الطائي .. ولد وتوفي بنجد بين المدينة والشام .. ودفن
بجبل عوارض .. وهو شاعر جاهلي .. اشتهر بشجاعته وكرمه .. ولقد
ضرب به المثل : « أجود من حاتم طي » .. له ديوان من الشعر يدور سفره
حول الجود والخلق الكريم .. ضاع معظم شعره ولم يبق منه غير مجموع
صغير .. توفي سنة ٦٠٥ م ...

(٢) افلاطون : من مشاهير فلاسفة اليونان .. ولد سنة ٤٢٧ ق.م .. وتوفي
سنة ٣٤٧ ق.م .. وهو تلميذ سقراط .. ومعلم أرسطو طاليس .. درس في
بستان أكاديمس في أثينا .. وأساس فلسفته « نظرية المثل » .. فالحقيقة
عنده ليست في الظواهر العابرة .. بل في الأفكار السابقة لوجود الكائن ..
والتي هي مثال له .. أسمى هذه الأفكار « فكرة الخير » وهي في عالم المثل
بمثابة الشمس في عالم المحسوسات .. فكما أن المحسوسات لا تضيء في ضوء
الشمس .. فكذلك لا تضيء الأفكار إلا في ضوء مثال الخير .. وله محاور
(« فيلروس ») وهي عبارة عن تأمل صوفي لفكرة الخير بأسلوب مميز وعميق في
الفهم والإدراك ...

(٣) مرسيه : مرسية بالاسبانية .. هي اقليم على ساحل البحر المتوسط .. دخل
الفاطحيون العرب إليها في القرن الثامن وجعلوها مملكة مرسية المستقلة ..

وذلك في عهد خلافة المستنجد^(١) - - وقد توفي ابن عربي سنة ٦٣٨ هـ
- ١٢٤٠ م .. في مدينة دمشق .. في منزل ابن الزنكي ..

يقول ابن عربي :

نادى أحد الرعايا سلطاناً كبيراً بمُرُسيه .. فلم يُجِبه
السلطان .. فقال الداعي : كلمني ..!! .. فإن الله جل جلاله كلم
موسى عليه السلام .. فقال له السلطان : حتى تكون أنت موسى ..
فقال له الداعي : حتى تكون أنت الله^(٢) ..!! .. فمسك السلطان
له فرسه .. حتى ذكر له حاجته^(٣) .. فقضاها .. كان هذا السلطان
صاحب شرق الأندلس .. يقال له : محمد بن سعد بن مردنيش^(٤) ..
الذي ولدت أنا^(٥) في زمانه .. وفي دولته بمُرُسيه^(٦) ..

ويقول ابن عربي :

وفي زمان هذا الخليفة المستنجد بالله ابن المقتفي .. واسمه
يوسف ويكنى بـ «أبا المظفر» ولدت أنا بمُرُسيه في دولة السلطان
أبي عبد الله محمد بن مردنيش^(٧) بالأندلس .. فكنت أسمع الخطيب

(١) المستنجد بالله : هو يوسف بن المقتفي .. ويكنى بـ أبي المظفر .. وهو الخليفة
العباسي الثاني والثلاثون .. ولد سنة ٥١٠ هـ - ١١١٦ م .. وتوفي سنة ٥٦٦ هـ
- ١١٧٠ م .. امتد حكمه من سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م .. إلى سنة ٥٦٦ هـ -
١١٧٠ م .. قطع دابر الفساد .. وكان من أفضل الخلفاء وأحسنهم سيرة مع
رعيته ..

(٢) مستنصر الله تعالى عنا ومنه .. ان الله غفور رحيم ..

(٣) أي حتى تكلم الداعي بطلبه للسلطان ..

(٤) يدو لنا انه ابن أبو عبد الله محمد أحمد مردنيش .. ولد في الأندلس سنة ١١٢٤ م
وتوفي في مَرُسيه سنة ١١٧٢ م .. اساني الأصل .. تولى الحكم في بلنسية
ومرسية بعد سقوط دولة المرابطين .. غلبه الموحدين ..

(٥) الإشارة لمحي الدين بن عربي بأنه ولد في زمان ذلك السلطان ..

(٦) الفتوحات - ج ٤ - ص ٢٦٤ ..

(٧) راجع العاشية رقم (٤) السابقة في هذه الصفحة ..

يوم الجمعة يخطب بالمسجد باسم المستنجد بالله ابن المقتضي (١) ...
ولد ابن عربي من أسرة نبيلة عريقة ثرية وافرة التقوى ...
وذلك يدل من أخباره عن شدة التقوى والورع التي كانت تتجلى به
أسرته ... وكان له خالان قد سلكا طريق الزهد ... الأول :
يحيى بن يغان الذي تخلى عن عرشه في تلمسان (٢) ... ولزم خدمة
عابد قرّض عليه أن يكسب قوته (٣) من الاحتطاب (٤) ... وأما
خاله الثاني : فهو أبو مسلم الخولاني ... الذي كان يقضي الليل في
مجاهدات شديدة ... فيضرب قدميه بنفسه بقسوة وعنّف كي يذهب
عنه ثقل النعاس (٥) ...

يقول ابن عربي :

وكان بعض أخوالي ... منهم : كان قد ملك (٦) مدينة
تلمسان ... وكان في زمنه رجل فقيه عابد منقطع (٧) ... من أهل
تونس ... يقال له : أبو عبد الله التونسي ... عابد وقته ... كان

(١) المحاضرات - ج ١ - ص ٣٤ ...

(٢) تلمسان : مدينة في الجزائر ... كانت بلدة رومانية ثم ازدهرت في عهد المرابطين
سنة ١٠٨١ م - ١١٤٤ م ... وأصبحت مركزاً رئيسياً للمعلوم الفقهية ... ولقد
أسس فيها المرابطون « المسجد الكبير » ... وجعلها بنو عبد الواد عاصمة للمغرب في
أسس فيها المرابطون « المسجد الكبير » ... وجعلها بنو عبد الواد عاصمة في
القرنين الثالث عشر والسادس عشر ... ثم أخذت في التدهور بعد الاحتلال
العثماني ...

(٣) قوته : رزقه وكفايته ...

(٤) الاحتطاب : أي جمع الحطب وهو خال ابن عربي ... يحيى بن يغان ... وبعد

جمع الحطب ينزل ليبيعه في الطرقات وسط المدينة ...

(٥) حباً في المجاهدة كان يفعل ذلك ... كان شديد الزهد ... وهذه درجة أو مقام من

مقامات الصوفيين ...

(٦) ملك : أي استملك الأمر والنهي ... حكم المدينة ...

(٧) عابد منقطع : أي انقطع عن الناس لعبادة الله سبحانه وتعالى ...

بموضع خارج تلمسان يقال له : « العُباد »^(١) . . وكان قد انقطع
 بمسجد يعبد الله فيه . . وقبره مشهور بها يُزار . . وبينما هذا
 الصالح يمشي بمدينة تلمسان بين المدينتين « آفاير - والمدينة
 الوسطى » . . إذ لقيه خالنا : يحيى بن يَفَّان . . ملك المدينة في
 حوْلة^(٢) وحشْمَة^(٣) . . فقبل له : هذا أبو عبد الله التونسي . .
 عابد وقته^(٤) . . فمسك لجام قرسه^(٥) . . وسلم على الشيخ . . فرد
 عليه السلام . . وكان على الملك ثياب فاخرة . . فقال له : يا شيخ .
 هذه الثياب التي أنا لابسها تجوز الصلاة فيها . . فضحك
 الشيخ . .!! . . فقال له الملك : ممَّ تضحك . .!! . . قال^(٦) : من
 سَخف عقلك . . وجهلك بنفسك وحالك . . مالك تشبيه عندي إلا
 بالكلب . . يثمرغ في دم الجيفة^(٧) وأكلها وقذارتها . . فإذا جاء
 يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول . . وأنت وعامَّ مليء حراما .
 وتسال عن الثياب . . وان مظالم العباد في عنقك . .!! . . قال^(٨) :
 فبكى الملك ونزل عن دابته . . وخرج عن ملكه من حينه . . ولزم

-
- (١) العُباد : - أبر مدين - هي قرية في الجزائر . . ولاية تلمسان . . أسس
 فيها ملوك تلمسان في القرون الثالث عشر مدرسة لا زالت قائمة حتى الآن . .
 ولقد انقوى فيها مدة المؤرخ ابن سينا . . .
- (٢) حوْلة : يقال للحولة أن تميل إحدى العدقتين إلى الأنف والأخرى إلى الصدع
 فقد نظر أبو عبد الله التونسي للملك نظرة كهذه . . وهي نظرة غريبة يدل
 معناها على الدهشة والتعجب . . وجودة بالنظر أيضاً .
- (٣) حِشْمَة : أي بمعنى : الحياء والانتباه والغضب . . وهكذا كانت نظرة
 أبو عبد الله التونسي للملك . . .
- (٤) لا يضيع الفرص إطلاقاً فوقته مشغول بعبادة الله سبحانه وتعالى . . .
- (٥) أي أسس الملك لجام الفرس فأوقفه عن السير ليطر في هذا العابد الصالح
 والذي رمقه بالنظر . . .
- (٦) الكلام للشيخ أبو عبد الله التونسي . . .
- (٧) الجيفة : الجثة السنتة . . .
- (٨) الكلام لمحي الدين بن عربي وهو راوي القصة . . .

الشيخ .. فمסקه الشيخ ثلاثة أيام .. ثم جاءه بحيل .. فقال له :
 أيها الملك .. قد فرغت أيام الضيافة .. فاحتطب .. فكان يأتي
 بالحطب على رأسه ويدخل به السوق .. والناس ينظرون إليه
 ويبكون .. فيبيع ويأخذ قوته ويتصدق بالباقي .. ولم يزل في
 بلده ذلك .. حتى دَرَجَ (١) .. ودفن خارج تربة الشيخ .. وقبره
 اليوم بها يُزار .. فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون أن يدعو
 لهم .. يقول لهم : التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان .. فانه
 مَسْكٌ وزهد .. ولو ابتليت بما ابتلي به من الملك ربما لم
 أزهد (٢) ...

ويقول ابن عربي :

كان خالنا أبو مسلم الخولاني رحمه الله من أكابرهم .. كان
 يقوم الليل (٣) .. فاذا أدركه العياء (٤) ضرب رجله بقضبان كانت
 عنده .. ويقول لرجليه : أنتما أحق بالضرب من دابتي (٥) ...

ويقول ابن عربي :

كان لي عم أخو والدي شقيقه .. اسمه : عبد الله بن محمد بن

(١) دَرَجَ : دروجاً ودرجاً .. الرجل : مات ...

(٢) الفتوحات - ج ٢ - ص ٢٣ ...

(٣) يقوم الليل : أي يقوم للصلاة بلا انقطاع ...

(٤) العياء : من الاعتياء .. وهو كلال مفرط يمرض في المفاصل والعضلات ..
 ويسمى ذلك .. تمباً أو ارهاقا ...

(٥) الفتوحات - ج ٢ - ص ٢٣ ...

عربي (١) . . كان له هذا المقام (٢) حساً ومعنى . . شاهدت ذلك منه قبل رجوعي لهذا الطريق (٣) في زمان جاهليتي (٤) . . .

في هذا الوسط العامر بالزهد والتصوف . . قضى محي الدين ابن عربي سني طفولته . . ولما بلغ الثامنة من عمره . . انتقل مع عائلته الى اشبيلية (٥) . . بعد أن خضعت مُرْسِيه لحكم الموحدين (٦) .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الطائي . . عم محي الدين بن عربي له كرامات عديدة . . انظر كرامات الأولياء ج ٢ ص ٢٣٠ . . .

(٢) انه مقام ((شم الأنفاس الرحمانية)) ولقد تبين لنا بأن ابن عربي قد عرف الكثير من صوفية الأندلس . . وقد اجتمع بواحد منهم في بيت المقدس وبمكة . . وسأله في مسألة . فقال لابن عربي . هل تشم شيئاً عدئد علم ابن عربي انه من اهل هذا المقام . . وقد اشار إليه مفصلاً في الفتوحات ص ٢٤٠ ج ١ . . .

(٣) أي قبل عودته لطريق التصوف . . .

(٤) الفتوحات - ج ١ - ص ٢٤٠ . . .

(٥) اشبيلية : مدينة في الأندلس جنوب غرب اسبانيا . . دخل إليها الفاتحون العرب سنة ٧١٢ هـ واصبحت بعد ذلك امانة مستقلة تحت حكم يسي عباد ١٠٢٣ - ١٠٩١ م . . ادمرت كمركزاً تجارياً وثقافياً أيام دولتي المرابطون والموحدون هزمها فردينالد الثالث حاكم قشتالة سنة ١٢٤٨ م . . بعد حصار طويل . . واتخذها مقراً له . . .

(٦) الموحدين : الموحدون ١١٣٠ - ١٢٦٩ م . . دولة اسلامية قامت في شمال افريقيا . . والأندلس . . أسسها زعيم من السهري اسمه محمد بن تومرت . . كان ثوري النزعة . . راد المراكز الدينية في الشرق الإسلامي وقرطبة . . شجع بالروح الصوفية . . ثم عاد الى المغرب ينشر دعوته . . فانصبت إليه =

ولم تكن ميول ابن عربي في بادئ الأمر متجهة نحو حياة الزهد
والتصوف .. بل كان مشغولاً بالآداب والصيد .. وهو يذكر في
شيخوخته كيف قضى سنوات طفولته .. ومطلع شبابه في رحلات
الصيد في حقول قرمونة وبلمة (١) ...

= القبائل .. وتآلف منها جيش أصبح دعامة دولة الموحدين .. خلفه تلميذه
عبد المؤمن بن علي .. فتغلب على المرابطين ومملك الأندلس وقرطبة وغرناطة
وبذلك فقد أصبح المغرب كله يؤلف دولة في الأندلس إلى برقة .. ولقد بلغت
دولة الموحدين ذروة مجدها في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور .. الذي انتصر
على الأمازيغ في معركة الأراك سنة ١١٩٥ .. وقد خلف عدة حكام في كل من
أشبيلية والرياط ومراكش .. وقد ازداد بلاط الموحدين بأجل العلماء في
القرن الثاني عشر .. أمثال : ابن رشد وابن طفيل أعظم فلاسفة العرب في
تلك الفترة .. وانهارت دولة الموحدين في الأندلس عقب انتصار الأمازيغ
عليهم في المعركة الشهيرة « لاس نفاس » سنة ١٢١٢ م .. ومن ثم انقسمت
دولتهم إلى عدة دويلات سنة ١٢٦٨ .. وبعد ذلك استولى المرينيون على
مراكش سنة ١٢٦٩ .. حيث انتهت دولة الموحدين .. انظر الوثائق السياسية
والإدارية في الأندلس وإفريقية للدكتور محمد ماهر حمادة الجزء السابع صفحة
رقم ٣٦٢ وما بعد - وراجع كتاب عصر الانبعاث لبطرس البستاني ..
(١) قرمونة وبلمة .. من مدن بلاد أوندلس .. راجع كتاب الروض المعمار في
خير الأقطار ص ٤٦١ ...

٢ - مراحل التحول :

هناك مراحل عديدة مرَّ بها محي الدين بن عربي في تحوله
التام إلى التصوف .. منها :

- ١ - زواجه بالمرأة التقية الورعة ...
 - ٢ - مرضه المفاجيء والرؤيا المتجدة ...
 - ٣ - كرامات والده التي صاحبت وفاته ...
 - ٤ - لقاءاته بكبار علماء الاسلام والفلاسفة والصوفيين ...
- كل ذلك بالإضافة للمجتمع الذي عاش وسطه .. كان له أهمية
كبيرة في أن يغير ابن عربي مجرى حياته .. ويتحول تحولا
جذريا إلى الفلسفة والتصوف ليصبح بعد ذلك من أقدر العلماء
الفلاسفة المسلمين المتصوفين ...

يقول ابن عربي :

حدثتني المرأة الصالحة^(١) مريم بنت محمد بن عبدون بن

(١) سـد هـيـت لـه « لـا بـن عـرـبـي مـواعـبـه الأديـبـة أن يـنـال مـبـكـرا وطـيـفـة كـاتـب في
حـكـومـة اثنـيـلـيـة ... و قد تـرـو ج المـرأة الجـلـيـلـة التـقـيـة مـرـيـم بـنـت مـحـمـد بـن عـبـدـون بـن
عـبـد الرـحـمـن البـجـائـي ... فـكـانـت القـدـوة الـتي شـا هـدـما فـيـها ونـصـائـحـها لـه في
عـاـة الأـمـمـيـة ...

عبد الرحمن البجائي .. قالت رأيت في منامي شخصاً كان
يتماهدني في وقائمي .. وما رأيت له شخصاً قط في عالم الحس ..
فقال لها^(١) : أتقصدي الطريق .. قالت : فقلت له : أي والله أقصد
الطريق .. ولكن لا أدري بماذا .. قالت^(٢) : فقال لي : بخمسة ..
وهي : « التوكل واليقين — والصبر — والعزيمة — والصدق » ..
فمرضت رؤياها علي^(٣) فقلت لها : هذا هو مذهب القوم^(٤) ..

ويقول ابن عربي :

مرضت فغشي^(٥) علي من مرضي .. بحيث إنني كنت معدوداً في
الموتى .. فرأيت قوماً كريهي المنظر يريدون إذابتي .. ورأيت
شخصاً جميلاً طيب الرائحة .. شديداً .. يداقهم عني حتى
قهرهم .. فقلت له : من أنت ؟؟ فقال : أنا سورة « يس » ..
أدفع عنك .. فأفقت من غشيتي تلك .. وإذا بآبي — رحمه الله —

(١) الكلام موجه من الشخص في المنام ...

(٢و٣) مرضت رؤياها علي زوجها ابن عربي ...

(٤) مذهب القوم : يعني انه مذهب المتصوفين ... انظر الفتوحات — ج ١ — ص ٣٦٣

(٥) غشي : غشيًا وغشيًا وغشيًا : أي ألم به ما غشي فهمه وأفقده الحس
والحركة وهو مغشي عليه : أي قد أصيب بالإغماء ...

عند رأسي يبكي وهو يقرأ سورة « يس » ٠٠ وقد ختمها ٠٠ فأخبرته
بما شهدته (١) ٠٠٠

ان هذه المرحلة أيضاً كان لها أثراً عميقاً في نفسية ابن عربي ٠٠ فقد
نجا من المرض بفضل دعوات والده الذي سهر الليالي عند رأسه
يقرأ له سورة « يس » وتلتها أيضاً ٠٠ كرامات والده التي صاحبته
حتى وفاته ٠٠ فقد تنبأ والده بأنه سيموت في يوم كذا وفي وقت
كذا ٠٠ فلما جاء اليوم الذي حدده ٠٠ دخل في النزع الأخير ٠٠ وقد
غشي نور أبيض جسمه فكان ذلك النور يضيء الغرفة كلها بشكل
واضح ٠٠ وتأثر ابن عربي بهذه الكرامة ٠٠ وساعدته أيضاً في
تحوله وتغيير مجرى حياته ٠٠٠

يقول ابن عربي :

وقد رأيت ذلك لوالدي - رحمه الله - فانا دفناه على شك مما
كان عليه في وجهه من صورة الأحياء ٠٠ ومما كان عليه من سكون
عروقه وانقطاع نفسه ٠٠ من صورة الأموات ٠٠ وكان قبل أن
يموت بخمسة عشر يوماً أخبرني بموته ٠٠ وانه يموت يوم الأربعاء
وكذلك كان ٠٠ فلما كان يوم موته وكان مريضاً «شديد المرض» ٠
استوى قاعداً خير مستند ٠٠ وقال لي : « يا ولدي ٠٠ اليوم يكون
الرحيل واللقاء » ٠٠ فقلت له : « كتب الله سلامتك في سفرك هذا -

(١) الفوحات - ج ٤ - ص ٦٤٨ ٠٠٠

وبارك لك في لقاءك» .. ففرح بذلك وقال لي: «جزاك الله يا ولدي عني خيراً» .. فكل ما كنت أسمع منك تقوله ولا أعرفه .. وربما كنت أتكر بعضه .. هو ذا أنا أشهده .. ثم ظهرت على جبينه لمعة بيضاء تغالف لون جسده من غير سوء .. لها نوراً يتلألاً .. فشعر بها الوالد .. ثم أن تلك اللمعة انتشرت على وجهه إلى أن عمّت بدنه .. فقبلت يده .. وودعته وخرجت من عنده .. وقلت له : أنا أسير إلى المسجد الجامع إلى أن يأتيني نعيك .. فقال لي : رح ولا تترك أحداً يدخل عليّ .. وجمع أهله وأولاده وبناته .. فلما جاء الظهر وجاءني نعيه^(١) .. فجنّت إليه فوجدته على حالته يشك الناظر فيه بين الحياة والموت .. وعلى تلك الحالة دفناه .. وكان له مشهد عظيم^(٢) ..

وعلى كل حال .. نحن لا نعلم على وجه التحديد متى كان تحول ابن عربي .. إلا أنه من المتبين أنه تحول قبل سنة ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م ..

يقول ابن عربي :

دخلت يوماً بقرطبة^(٣) .. على قاضيها .. أبي الوليد ابن

(١) أي جاءه خبر وفاته ..

(٢) الفتوحات - ج ١ - ص ٢٨٩ ..

(٣) قرطبة : قاعدة الأندلس .. وأم مدائننا .. ومستقر خلافة الأمويين بها .. وأثارهم ظاهرة بها .. من أهم الآثار في قرطبة : قصر الزهراء .. والجامع المشهور .. في داخله شمال المحراب يوجد خزانة فيها مصحف فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان ، رضي الله عنه والذي خطه بيمنه .. وفيه نقطة من دمه .. هذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم ويتولى إخراجهم قوم من خدمة الجامع .. ويتولى الإمام القراءة منه .. ثم يرفع إلى موضعه .. وثقله يرفعه رجلان ..

رشد (١) .. وكان يرغب في لقائي لتأسمع وبلغه ما فتح الله سبحانه
وتعالى به عليّ في خلوتي (٢) .. وكان يظهر التعجب مما سمع ..
فبعثني والذي إليه في حاجة قصداً منه حتى يجتمع بي .. فانه كان
من أصدقائه وأنا صبي .. ما يقل (٣) وجهي .. ولا طر (٤) شاربتي ..
فلما دخلت عليه قام من مكانه إليّ محبة وإعظاماً .. فعانقني وقال
لي : — نعم !! .. — فقلت له : — نعم !! .. — فزاد فرحه بي
لفهمي عنه .. ثم إنني استشعرت بما أفرحه من ذلك .. فقلت له :
— لا !! .. — فأنقيض .. وتغير لونه .. وشك فيما عنده (٥) ..
وقال : كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الالهي ؟؟ .. هل
هو ما أعطاه لنا النظر !! .. قلت له : نعم !! .. لا !! ..
وبين «نعم ولا» تطير الأرواح من موادها .. والأعناق من أجسادها ..
فاصفر لونه .. وأخذة الإفكَل (٦) .. وقعد يُحوِّقَل (٧) ..

- (١) ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد .. ١١٢٦ — ١١٩٨ م ..
فيلسوف وطبيب عربي .. ولد في قرطبة وتوفي في مراكش .. درس الفقه
والطب والرياضيات والفلك والفلسفة .. قدمه ابن طفيل لأبي يعقوب يوسف
خليفة الموحدين ١١٨٢ م فعينه طبيباً له وقاضياً في قرطبة .. حاول التوفيق
بين الشريعة والحكمة .. من أشهر آثاره فضل المقال في ما بين الحكمة والشريعة
من الاتصال .. وفي الطب كتاب الكليات .. ساء الغرب الشارح .. نظراً
إلى شروحه الكثيرة والممتازة لأرسطو .. ترجمت كتبه إلى عدة لغات ..
- (٢) الغلوة : المكان الذي يختلي فيه الرجل .. جمع خلوات : والخلوة عند بعض
الصوفية هي العزلة .. وعند بعضهم : غير العزلة .. وخلوة الإنسان : انفراد
بنفسه ..

- (٣) ما يقل : لم يثبت شعر وجهه ..
- (٤) ولا طر : لم يثبت شعر شاربته ..
- (٥) من العلم ..
- (٦) الإفكَل : أي أخذته الرعدة .. ارتعش وارتعد ..
- (٧) يُحوِّقَل : من حوَّقَل ، أي قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .. والحوقلة مصدر
حوَّل : أي يقال كذلك .. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

وعرفت ما أشرت به إليه . . . وهو عين المسألة التي ذكرها هذا القطب
الامام . . . أي مداوي المكلوم^(١) . . . وطلب من أبي بعد ذلك الاجتماع
بنا ليعرض ما عنده علينا . . . هل يوافق أو يخالف . . . فانه كان من
أرباب الفكر والنظر العقلي . . . فشكر الله تعالى الذي كان في زمان
رأى فيه من دخل خلوته جاهلاً وخرج بمثل هذا الخروج . . . من
غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة . . . وقال : هذه حالة
أثبتناها وما رأينا لها أرباباً . . . فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه
واحد من أربابها الفاتحين مغاليق أبوابها . . . والحمد لله السدي
خصني برؤيته^(٢) . . .

ويقول ابن عربي :

ونلت هذا المقام^(٣) في دخولي هذه الطريقة^(٤) سنة ثمانين
وخمسماية^(٥) . . .

وأما الواقعة التي تدل على أن ابن عربي قد تحول إلى هذا
المقام قبل سنة ٥٨٠ هـ فقد كان ذلك قبل وفاة والده . . . فقد عكف
ابن عربي على قراءة كتب التصوف وكان يجتمع بشيوخ الطريقة . . .

(١) المكلوم : المروح . . .

(٢) الفتوحات - ج ١ - ص ١٩٩ . . .

(٣) انظر صفحة رقم (١٦) حاشية رقم (٢) عن المقام المقصود . . . وهو شم الأنفاس
الرحمانية . . .

(٤) أي طريقة التصوف . . .

(٥) الفتوحات - ج ٢ - ص ٥٥٩ . . .

وروايته عن ابن رشد هي خير دليل أيضاً على ذلك ٠٠ فابن رشد طلب من والد ابن عربي أن يشاهد ابنه بغية دراسة حالته ٠٠٠

يقول ابن عربي :

وكنا قد رأينا منهم « أي من الأبدال^(١) السبعة » موسى البيدراني^(٢) ٠٠ باشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة ٠٠ وصل إلينا بالقصد واجتمع بنا^(٣) ٠٠٠

(١) لقد رتب ابن عربي طريق الصوف على درجات - ذكرنا في الفتوحات ج ٢ ص ٧ - ١١ بالتفصيل ٠٠ والمراتب الكاملة بين هذه الدرجات الصوفية ومضى كالتالي :

١ - القطب : حوله يدرك الفلك الكلي للحياة الروحية للعالم كله ٠٠

ويبدو كأنه المركز الرئيسي ٠٠٠

٢ - الإمامان : هما خليفتان للقطب ٠٠ يخلفانه حين يتوفى ٠٠٠

٣ - أربعة أوتان : لهم وظائف للجهات الأربعة الأصلية ٠٠٠

٤ - سبعة أبدال : لهم مهمات في كل اقليم من الأقاليم الجغرافية السبعة التي قسم الجغرافيون العرب الأرض إليها ٠٠٠

٥ - اثنا عشر نقيباً : كل منهم يعود لكل برج من البروج الإثني عشر ٠٠

٦ - ثمانية نجباء : وظائفهم تتعلق بالكواكب السماوية الثمانية فقط ٠٠

(٢) موسى البيدراني : صوفي شهير له ملكية البذل : قام برحلة إلى أشبيلية بقصد

الاتصال بابن عربي والاستفادة منه ومن تعاليمه على الرغم من أن ابن عربي

لم يتجاوز في تلك الفترة السادسة والعشرين من عمره ٠٠٠

(٣) الفتوحات - ج ٢ - ص ٩ ٠٠٠

٣- جولات ابن عربي :

بعد أن أصبح محي الدين بن عربي مدرك لأنواع التصوف . .
فقد أصبح في وسعه أن يقرر طريقته . . وقد عاش ما تبقى من
عمره ولم يكن قصيراً في سياحات مستمرة دون كلل أو ملل . . فمرّ
ببلاد عديدة . . يتعلم ويعلم ويناقش . . .

وكانت مدن وقرى الأندلس أولى البدايات لهذا التجوال (١) . .
فذهب ابن عربي إلى مورور (٢) . . وفيها ألف أول كتاب له بعنوان
« التدبيرات الإلهية » . . وانتقل بعدها إلى مرشانة (٣) . . ثم إلى
مدينة الزهراء (٤) . . ثم إلى قبر فيق . . كل هذه المدن كانت قريبة
من وطنه الذي ولد فيه . . لذلك لم يشعر ابن عربي بمعنى الغربة
أو شيم من هذا القبيل . . بل كان سعيداً مسروراً بما يشاهده . .
وبما يلتقي به . . وبما ينهل من العلم والتعليم . . وبعد ذلك قرر
المغامرة . . فبدأ ابن عربي مغامرته برحلة دخل فيها إلى إفريقية
سنة ٥٩٠ هـ . . وكان في ذلك الزمن قد أصبح شاباً يافعاً . . قوي

-
- (١) كان خروج ابن عربي مع جماعة منهم أحمد الحرار . . راجع سير الأولياء
للخزرجي ص ٣٢ . . طبع دار العالم بيروت . . .
 - (٢) مورور : قرية متصلة بأحواز قرمونة من الأندلس . . وهي من قرطبة بين
القبلة والمغرب . . .
 - (٣) مرشانة : مما اشتهر . . الأولى مدينة باشبيلية . . والثانية من حصون المرية . .
 - (٤) الزهراء : مدينة عربي قرطبة . . .

البنية ٠٠ فدخل بعدها بجاية (١) ٠٠ ثم تونس (٢) ٠٠ ولم يمكث في تونس كثيراً إذ أن عنفوانه كشاب وحنينه إلى وطنه وادراكه لمعنى الغربة ٠٠ كل ذلك جعله يعود إلى اشبيلية ٠٠ ومن ثم عاد إلى تلمسان ٠٠ ومرة أخرى عاد إلى تونس ٠٠ فألف عدة رسائل في ترحاله هذا ٠٠ وفي سنة ٥٩١ هـ ذهب إلى فاس (٣) لأول مرة ٠٠ إلا أنه سرعان ما عاد إلى الأندلس عقب انتصار جيش المسلمين وفتحهم قلاع «رباح» (٤) وغيرها ٠٠ وفي سنة ٥٩٣ هـ عاد إلى فاس للمرة الثانية ٠٠ فعكف على الدراسات والمجاهدة ٠٠ فكان يمكث الساعات الطوال في «المسجد الأزهر» وفي بستان «ابن حيون» (٥) وفي هذه المرة نال ابن عربي مقام التجلي سنة ٥٩٣ هـ في المسجد الأزهر وهو يصلي صلاة العصر ٠٠٠

يقول ابن عربي :

وهذا مقام نلته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس في صلاة العصر ٠٠ وأنا أصلي بجماعة بالمسجد الأزهر بجانب عين الجبل فرأيتته نوراً يكاد يكون أكشف من الذي بين يدي ٠٠ غير أنني لما رأيتته زال عني حكم الخلف ٠٠ وما رأيت له ظهراً ولا قفا ٠٠ ولم

-
- (١) بجاية : ميناء بالجزائر على شاطئ البحر المتوسط ٠٠٠
 - (٢) تونس : جمهورية تونس ٠٠ شرقي إفريقيا ٠٠ يحدها من الشمال والشرق البحر المتوسط ومن الغرب : الجزائر ومن الجنوب الشرقي ليبيا ٠٠ وفي الجنوب بحيرة ملحية من وراءها صحراء ٠٠ وتمتد في الشمال جبال أطلس ٠٠٠
 - (٣) فاس : من بلاد المغرب الأقصى ٠٠٠
 - (٤) قلعة رباح : بالأندلس : هي بين قرطبة وطليطلة ٠٠٠
 - (٥) ابن حيون : النعمان بن محمد ت عام ٩٧٤ م ٠٠ فقيه مسلم من أهل القيروان - يعتبر أحد أركان الدعوة الفاطمية ٠٠ قدم مع المعز لدين الله إلى مصر وتوفي فيها ٠٠ من آثاره : « اختلاف أصول المذاهب » و « أساس التأويل الباطن » و « مختصر الآثار في ما روي عن الأئمة الأظهر » ٠٠٠

أفرق في تلك الرؤية بين جهاتي .. بل كنت مثل الكرة لا أعقل
لنفسي جهة إلا بالفرض .. لا بالوجود .. وكان الأمر كما شاهدته
مع أنه كان قد تقدم لي قبل ذلك كشف الأشياء في عرض حائط
قبلتي .. وهذا كشف لا يشبه هذا الكشف (١) ...

بعد ذلك انتقل ابن عربي إلى مرسية سنة ٥٩٤ هـ .. مرورا
بـ « أبسلا » (٢) ودخل سبتة (٣) .. وعبر الزقاق (٤) - مضيق جبل
طارق .. وعلى ما يبدو كان ابن عربي وكأنه يريد توديع وطنه
الوداع الأخير .. وفي سنة ٥٩٥ هـ .. مرَّ ابن عربي بغرناطة (٥) ..
وذهب إلى المرية (٦) في أيام دولة الموحيدين .. وهناك انقطع
للمصلاة الروحية حيث ألف كتابه الشهير « مواقع النجوم » وهو رسالة
رائمة في التصوف والزهد .. وبعد عامين دخل ابن عربي إلى
مراكش (٧) سنة ٥٩٧ هـ .. ثم رحل إلى فاس .. ثم إلى تلمسان ..
ثم إلى تونس حيث استقر فترة من الزمن .. فوصل في هذه الفترة
إلى درجة من أعلى درجات السلوك الصوفي .. وهناك ألف عدة كتب
من بينها « انشاء الدوائر والجدائل » و « عنقاء مغرب في معرفة
ختم الأولياء وشمس المغرب » .. ورحل بعد ذلك إلى مكة المكرمة
سنة ٥٩٨ هـ .. فمرَّ بمصر .. وعلى ما يبدو أنه دخل الاسكندرية
والقاهرة إلا أنه لم يمكث فيهما كثيرا .. وبعد وصوله إلى مكة

-
- (١) الفتوحات ج ٢ - ص ٦٤٠ ...
 - (٢) أبسلا : ميناء على المحيط الأطلسي ...
 - (٣) سبتة : مدينة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق ...
 - (٤) الزقاق : يمر على ساحل بليسونس من قرى سبتة ...
 - (٥) غرناطة : مدينة بالأندلس : أهم أثارها العربية .. قصر الحمراء الذي يمتد
رائحة الأندلس ...
 - (٦) المرية : مدينة بالأندلس ...
 - (٧) مراكش : مدينة بالمغرب شمال أغمات ...

المكرمة استطاب المكان فألف كتابه الذي يعتبر من أشهر كتب ابن عربي وهو بعنوان « ترجمان الأشواق » ويبدو أنه استطاب المكوث في مكة المكرمة ٠٠ فقد برع في الكتابة فألف عدة كتب منها : « مشكاة الأنوار فيما روي عن النبي ﷺ من الأخبار » ٠٠ وفي الطائفة (١) كتب مؤلفه « حلية الأبدال » و « الدررة الفاخرة » وبعد فترة من الزمن بدأت مرحلته الجديدة في الأسفار فذهب إلى بغداد ٠٠ ومكث فيها اثني عشر يوماً ٠٠ ثم غادرها إلى الموصل (٢) ٠٠ وعاد مرة أخرى إلى مصر ٠٠ وفي سنة ٦٠٠ هـ في مصر أتهم ابن عربي من قبل بعض الفقهاء بأنه مبتدع (٣) ٠٠ و ٠٠ الخ ٠٠ فطالبوا برأسه ٠٠ وقدّموا عرائض بذلك للملك العادل (٤) مضطهدين فيها آراء ابن

-
- (١) الطائفة : مدينة بالملكة العربية السعودية ٠٠ على بُعد ١٢٠ كم من مكة ٠٠ تعتبر مصيف رسمي ٠٠ إذ تحيط بها الحدائق وتشتهر بالكروم والرمان ٠٠ وهي من أقدم بلاد الحجاز ٠٠ أقام فيها النبي محمد ﷺ زمناً ٠٠٠
- (٢) الموصل : مدينة في العراق ٠٠ لقبت بالحدباء وأم الربيعين ٠٠ تقوم المدينة الحالية على أنقاض مدينة ساسانية ٠٠ وهي تعتبر قاعدة نينوى القائمة على أنقاض العاصمة الآشورية أيضاً ٠٠٠
- (٣) يقول ابن العماد : وقد أودى ابن عربي الشيخ الأكبر كثيراً في حياته وبعد مماته بما لم يقع لتظيره مثله ٠٠ شذرات الذهب ج ٥ - ص ١٩٦ ٠٠٠
- (٤) الملك العادل : هو السلطان سيف الدين أبو بكر محمد بن الأمير نجم الدين لتكريتي الدمشقي ٠٠ توفي سنة ٥٩٧ هـ ٠٠ النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٠ قال الحافظ الذهبي في تاريخه . ولد ببغداد سنة ٥٣٩ عاش ستاً وسبعين سنة ٠٠ ويتبين هنا أنه توفي سنة ٦١٥ هـ ٠٠ وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته ٠٠ وذكر ذلك ابن حلكان في ترجمته عن الملك العادل ٠٠ ثم أخذ صلاح الدين حلب من ولده الملك الظاهر ٠٠ وأعطاه للملك العادل الذي نزل عنها فيما بعد للملك الظاهر ٠٠ وفي =

عربي ٠٠ وبدأت المجادلات والأقاويل تشاع حول صحة حقيقة
إيمانه ٠٠ إلا أن ذلك كله لم يؤثر في حماسه الصوفية ولا في
اخلاصه وإيمانه بالله ٠٠ فرحل إلى الاسكندرية ٠٠ ثم إلى مكة المكرمة
حيث ألف كتابه « مشاهد الأسرار » ومؤلف آخر بعنوان « رسالة
الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار » ٠٠ وغادر ابن عربي
مكة فقصد بلاد الأناضول (١) ٠٠ فمر بقيصرية كبادوقيا (٢) ٠٠ ثم

= ابن الأثير مانعه : خطب للملك العادل بالقاهرة ومصر يوم الجمعة ٢١ شوال
سنة ٥٩٦ هـ ٠٠ وخطب له بعلب الجمعة ١١ جمادى الأولى سنة ٥٩٨ هـ ٠
وكان ذا رأي ومعرفة وحزم ٠٠ صالحاً محافظاً على الصلوات متتبِعاً للسنة ٠٠
ماتلاً للعلماء ٠٠ وفي ابن خلكان : هو محمد بن أيوب بن شادي أبو بكر سيف
الإسلام الملقب بالملك العادل ٠٠ أخو السلطان صلاح الدين ٠٠ من كبار سلاطين
الدولة الأيوبية ٠٠ كان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين أثناء غيبته
بالشام ثم ولاء أخوه حلب ٠٠ واستقر بمصر سنة ٥٩٦ هـ وضم إليها الديار
الشامية ٠٠ كان ملكاً عظيماً ٠٠ ولد بدمشق سنة ٥٤٠ هـ - ١١٤٥ م ٠٠ توفي
بمالقين من قرى دمشق وهو يجهز العساكر لقتال الفرنج سنة ٦١٥ هـ ١٢١٨ م
انظر ابن خلكان ٠٠ ج ٢ - ص ٤٨ ٠٠ وابن طولون المعز فيما قيل بالمرزة ص ٦
وقيل الروضتين ص ١١١ ومرآة الزمان ج ٨ - ص ٥٩٤ ٠٠ والعبر في خبر من
غير الذهبي ج ٥ - ص ٥٨ ٠٠ والأعلام للزركلي ج ٦ - ص ٢٧٠ ٠٠ وانظر
خطط الشام لمحمد كرد علي ج ٢ - ص ٦٩ - ٨٢ ٠٠٠

(١) الأناضول : شبه جزيرة آسيوية تشكل القسم الأكبر من تركيا ٠٠ معظمها أنجاد
وجبال ٠٠ يحدها شمالاً البحر الأسود وغرباً بحر مرمرة وبحر إيجه ٠٠ وجنوباً
البحر المتوسط ٠٠ يطلق عليها آسيا الصغرى ٠٠٠

(٢) كبادوقية : اسم أطلق قديماً على البلاد الواقعة شرقي تركيا الآسيوية
« الأناضول » قاعدتها قيصرية ٠٠٠

ملطية^(١) ٠٠ ثم سيواس^(٢) ٠٠ ثم أرزن^(٣) الروم بأرمينيا ٠٠ وأخيراً عاد إلى حران^(٤) في العراق ٠٠ ودخل دنيسر^(٥) في ديار بكر ٠٠ ثم دخل بغداد سنة ٦٠٨ هـ ٠٠ وبعد فترة عاد إلى مكة المكرمة حيث دخلها سنة ٦١١ هـ ٠٠ وهناك كتب شرحه على كتابه « ترجمان الأشواق » في كتاب بعنوان « الذخائر والاعلاق^(٦) » ٠٠٠

ومما يبدو لنا أن الزهد الشديد الذي مارسه ابن عربي حيث كان يختار من الطرق أضيقتها ٠٠ ومن الرياضات الصوفية أشقها . بالإضافة إلى تلك السياحات والتجوال المستمر ٠٠ والجهد في التأليف والكتابة ٠٠ كل ذلك قد أثرت متجمعة على صحته ٠٠ فاشتدت أوجاعه لما دخل سن الشيوخوخة ٠٠ مما حمله على تلمس مكان أكثر اعتدالاً من كافة الأمكنة التي أقام بها ٠٠ وبذلك قصد دمشق الشام ٠٠ والتي كان يراها أطيب البلاد مقاماً في العالم ومن المحقق

(١) ملطية ٠٠ مدينة على الفرات في تركيا ٠٠٠

(٢) سيواس : مدينة في أواسط تركيا الآسيوية ٠٠٠

(٣) أرزن : مدينة قديمة بين أرمينيا وتركيا ٠٠ كانت في منتصف الطريق بين مسرت شرقاً وميفارقين غرباً ٠٠ أقام فيها سيف الدين الحموي ٠٠٠

(٤) حران : مدينة من ديار منضر ٠٠ قديمة ٠٠ كانت مركزاً هاماً على طريق التجارة من نيسوي إلى كريكش ٠٠ اشتهرت بوجود الفلاسفة والعلماء أمثال ثابت بن قرة وأولاده ٠٠ والثعاني ٠٠ دعاها الرومان « كاهاري » فتحها العرب سنة ٦٣٩ هـ على يد عياض بن غنم ٠٠٠

(٥) دنيسر : ذكرها الحميري في كتابه الروض المعطار في أخبار الأقطار باسم « ديفر » وهي من الموصل إلى نصيبين إلى مدينة ديصر ٠٠ مدينة في سبط من الأرض فسيحة ٠٠ كانت محط لأهل بلاد الشام وبلاد الروم ٠٠ انظر الكتاب المذكور صفحة رقم ٢٥٠ ٠٠٠

(٦) العلق : بالكسر : النفيس من كل شيء ٠ جمع أعلق ٠٠٠

أن ابن عربي قد نزل واستقر بالشام بدءاً من عام ٦٢٠ هـ وهو في سن الستين من العمر ٠٠ ولم يفادها حتى توفي بها ٠٠ وقد كان الحاكم في تلك الفترة الملك المعظم ابن الملك العادل ٠٠ ولقد أصبحت صلته بابن عربي صلة متينة ٠٠ صلة المريد بالشيخ ٠٠ كان يتلقى من ابن عربي اجازة بتعليم جميع ما صنّفه ابن عربي والمصدر بحوالي أربعمئة كتاب ورسالة وما يزيد عن ذلك ٠٠ وفي دمشق الشام ٠٠ ألف ابن عربي كتب عديدة منها : «الفصوص» والفتوحات - والديوان - والوصايا اليوسفية « ففي سنة ٦٢٧ هـ ألف فصوص الحكم ٠٠ وفي سنة ٦٢٨ هـ انتهى من مؤلفه الديوان ٠٠ والوصايا اليوسفية ٠٠ ومفتاتيح الغيب وكنّه ما لا بد للمريد منه ٠٠ ومشاهد الأسرار القدسية ٠٠ والتنزيلات الموصلية ٠٠ وتاج الرسائل وشجرة الكون ٠٠ وتفسير الشيخ الأكبر وتحفة السفر ٠٠ والأمر المحكم ٠٠ ومحاضرة الأبرار ٠٠ كل هذه الكتب مضافة إلى الكتب السابقة ٠٠ ولا يسعنا ذكر مؤلفات ابن عربي كلها بل ان ذلك من المستحيل ٠٠٠

وهكذا استقر ابن عربي في دمشق الشام يحرق مصنفاته ومؤلفاته بلا كلل أو ملل ٠٠ وعلى الرغم من بلوغه سن الثمانين من العمر ٠٠٠

وقد توفي الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضوان الله عليه في شهر تشرين الثاني في السادس عشر منه من سنة ٦٣٨ هـ ٠٠ في منزل الشيخ ابن الزنكي ٠٠ وقد قام ابن الزنكي مع اثنين من المريدين وهما : ابن عبد الخالق ٠٠ وابن النحاس ٠٠ ففسلوه ٠٠ وحملوا جثمانه إلى منطقة الصالحية حيث المقبرة الخاصة بآل الزنكي ٠٠

فدفن فيها . . . ومنذ ذلك الوقت دُعيت تلك المنطقة باسمه . . الشيخ
محي الدين . . .

ولقد خلف محي الدين بن عربي ولدين . . الأول : سعد الدين
ولد بملطية وتوفي بدمشق ودفن بجوار والده . . والثاني :
عماد الدين . . توفي في دمشق أيضاً ودفن بجوار والده . . .

هذا هو الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي . . فريد عصره . .
ووحيد زمانه . . والذي تلقى من بعده الناس جميعاً آثار فكره
وخياله المبدع والعميق رضوان الله عليه . . ونسأل الله أن يتغمده
في فسيح رحمته وجنانه . . والحمد لله رب العالمين . . .



شجرة الكون

لمؤلفه الشيخ الأكبر

محي الدين بن عربي

مدخل الكتاب :

لقد عالج الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الفيلسوف القدير والصوفي الجليل . . . عالج الأمور المستعصية . . . بالفكر والخيال . . . وتعمق بها بالحس الروحي . . . فهو فيلسوف قد أخذ بنهج التصوير الفني للرمز والاشارة . . . واعتمد عليهما للتعبير عما يلج في كيانه ونفسه . . . فعالج الأمور بهذه الطريقة . . . وقد يكون من أسباب التعقيد في الفهم والادراك لهذا الأسلوب لأننا سنلمس في كل سطر من أسطر كتابه لفزاً فنياً رائعاً . . . وتصويراً بالغاً في المعطاء . . . حيث نجد القارئ لا يكاد يظفر بالفكرة حتى يجدها قد غابت عنه تدريجياً . . . ثم عادت لتظهر من جديد ضمن قالب مضام بنسور أشمل لها . . .

وسنجد أيضاً أن ابن عربي يتكلم بلسان الباطن الذي هو في الحقيقة مذهبه الحقيقي . . . ويدع لسان الظاهر ليعبر عنه الآخرون فهو في مذهبه هذا يفرق بين اللسانين . . . فيعتبرهما منطقتين . . . الأول : منطق العقل . . . والثاني : منطق الذوق . . . فالعقل لسان الظاهر . . . والذوق لسان الباطن . . . وما أروع الباطن الذي يُرينا ما يعجز عن تفسيره لسان الظاهر . . .

هذه هي طريقة ابن عربي في شروحه ومؤلفاته . . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَا كَلِمَةَ طَيْبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيْبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ سَدَّ اللَّهُ النَّفْلَ

(١) سورة إبراهيم - ٢٤ - ٠٠٠

بالحديث الشريف ::

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ٠٠ قال : أتى رسول الله ﷺ بقناع فيه رطب فقال : مثل كلمة طيبة ٠٠ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ٠٠ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)) - إبراهيم - ٢٤ - ٢٥ - قال هي النخلة ٠٠ ((ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار))
٧ - إبراهيم - ٢٦ - قال : هي الحنظل ٠٠ أخرجه الترمذي رقم ٣١١٨ من حديث حماد بن سلمة عن شعيب بن الحجاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه ٠٠٠

هــنـد هي الشجرة الطيبة . أي الكلمة الطيبة ٠٠ كلمة التوحيد ٠٠ شهادة أن لا إله إلا الله ٠٠ وأن محمد سول الله ٠٠ هي شجرة نافعة وشجرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ٠٠ مثلها كمثل الشجرة المثمرة الثمار الطيبة ٠٠ هي كلمة طيبة كالشجرة الطيبة ٠٠ شجرة النبوة ٠٠ والإيمان ٠٠ والخير ٠٠ وأما الشجرة الخبيثة ٠٠ فهي شجرة الجاهلية والباطل والتكذيب والشر والظلم وبذلك تبرز معالم حقيقة هذه الآية الكريمة ٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأحدي الذات •• الفردي الصفات •• الذي تقدس
وجهه عن الجهات •• وقده عن المحدثات •• وقدمه عن الجهات ••
ويده عن الحركات •• وعينه عن اللحظات •• وقدرته عن الهفوات
واستواؤه عن الاتصالات •• وإرادته عن الشهوات •• الذي لا تعدد
لصفاته بعدد الموصوفات •• ولا تختلف إرادته باختلاف المرادات ••
وكون بكلمة « كُنْ » ^(١) جميع الكائنات •• وأوجد بها جميع
الموجودات •• فلا موجود إلا مستخرج من كنهها المكنون •• ولا مكنون
إلا مستخرج من سرها المصون •••

قال الله تعالى :

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ^(٢) •••

أما بعد :

فاني نظرت إلى الكون وتكوينه •• وإلى المكنون وتدوينه ••

(١) انظر كتاب معجزة القرن العشرين للدكتور ابن خليقة عليوي ص ٧٣ — ٧٤ ••
مقال بعنوان معجزة سباعية : قضاء الأمر مستقبلاً بلفظ كن •• دار الايمان
الطبعة الأولى ١٩٨٣ •••

(٢) سورة النحل — ٤٠ •• أي إن الله جل جلاله إذا أراد أن يبعث من يموت فلا
تعب عليه في احياءه وبعثه •• لأنه سبحانه وتعالى إذا أراد فيقول كن ••
فيكون •••

فرأيت الكون كله شجرة ٠٠ وأصل نورها من حبة « كُنْ » قد لقحت
 كاف الكونية بلباقح حبة : « نحن خلقناكم ^(١) » ٠٠ فانمقد من ذلك
 البزر ثمرة « إنا كل شيء خلقناه بقدر ^(٢) » ٠٠ وظهر من هذا
 غصنان مختلفان أصلهما ^(٣) واحد ٠٠ وهو « الإرادة » وفرعها
 « القدرة » فظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان ٠٠ كاف الكمالية
 « اليوم أكملت لكم دينكم ^(٤) » ٠٠ وكاف الكفرية - « فمنهم من

(١) سورة الواقعة - ٥٧ ٠٠ إنه تشبيه للنشأة الأولى ونهايتها ٠٠ أمر الخلق والموت
 لقوله : « نحن خلقناكم » ٠ ان ضنط هذه الحقيقة الهائلة على الفطيرة
 الإنسانية فهي أضخم وأثقل من أن يقف لها الكيان البشري أو يجادل فيها ٠٠
 (٢) ان كل شيء خلقناه بقدر - سورة القمر - ٤٩ ٠٠ أي كل شيء : كل صغير ٠٠
 كل ناطق وكل صامت ٠٠ كل متحرك وكل ساكن ٠٠ كل ماض وكل حاضر ٠٠
 كل معلوم وكل مجهول ٠٠ كل شيء خلقه الله بقدر ٠٠ يحدد حقيقته ٠٠ ويحدد
 صفته ٠٠ ويحدد مقداره ٠٠ ويحدد زمانه ٠٠ ويحدد مكانه ٠٠ ويحدد ارتباطه
 بسائر ما حوله من أشياء وتأثيره في كيان هذا الوجود ٠٠٠

(٣) في الأصل : أصلها ٠٠٠

(٤) سورة المائدة - ٣ ٠٠ في روايات كثيرة ان هذه السورة نزلت بعد سورة الفتح ٠٠
 وسورة الفتح معروف أنها نزلت في العديبية في العام السادس من الهجرة ٠٠
 وفي بعض الروايات انها نزلت مرة واحدة فيما عدا الآية الثالثة التي فيها :
 « اليوم أكملت لكم دينكم » فإنها نزلت في حبة الوداع في السنة العاشرة
 للهجرة ٠٠ والمراجعة الموضوعية للسورة تؤكد مع أحداث السيرة أن هذه الآية
 الثالثة قد نزلت في حبة الوداع ٠٠ وهذه الآية الكريمة تقرر بما لا مجال
 للجدال فيه ٠٠ انه دين خالد ٠٠ وشرعية خالدة ٠٠ فهذه هي الصورة التي
 رضي الله سبحانه وتعالى للمسلمين ديناً ٠٠ هي الصورة الأخيرة ٠٠ انها شرعية
 ذلك الزمان وشرعية كل زمان فهي الرسالة الأخيرة للبشرية قد اكتملت وتمت
 بإذن الله سبحانه وتعالى ٠٠ « اليوم أكملت لكم دينكم ٠٠ واتممت عليكم =

من ومنهم من كفسر^(١) « * * وظهر جوهسر النون » نون الشكرة ،
 « نون المعرفة » فلما أبرزهم من « كُنْ » العدم * * على حكم مراد
 لقدم * * رش عليهم من نوره * * *

فأما من أصابه ذلك النور :

فقد حْدَقَ إلى تمثال شجرة الكون المستخرجة من حبة « كُنْ »
 فلاح^(٢) له في سرِّ كافها « كنتم خير أمة »^(٤) * * واتضح له من شرح

= نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً * * وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم
 ليعلم كمال الرسالة واتمام النعمة فيحس عمر رضي الله عنه * * بصيرته
 النافذة وقلبه الواصل أن أيام الرسول ﷺ على الأرض أصبحت ممدودة * *
 فقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ولم يعد إلا لقاء الله * * فيبكي رصوار الله عليه
 وقد أحس قلبه دثر يوم الفراق * * فالدين قد تم والرسالة بلغت فب عادت
 فيه زيادة لاستزيد * * قال ابن عباس * * حدثني محمد بن يشار * * حدثنا
 عبد الرحمن * * حدثنا سفيان * * عن قيس عن طارق بن شهاب * * قالت اليهود
 لعمر * * إنكم تقرؤون آية * * لو نزلت فينا لاتخذناها عبداً * * فقال عمر
 اني لأعلم حيث نزلت * * وأين نزلت * * وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت * *
 يوم عرفة * * وأنا والله بعرفة * * *

قال سفيان . وأشك كان يوم الجمعة أم لا * * « اليوم أكملت لكم دينكم » * *
 أخرجه البخاري * * *

(١) سورة البقرة - ٢٥٣ * * أما وقد مضت مشيئته الله بتويع الوظائف * * فقد
 مضت كذلك بتويع الاستعدادات * * فكلّف كل انسان أن يتحرى لنفسه الهدى
 والرشاد * * وفيه الاستعدادات الكامنة لهذا * * وأما دلائل الهدى في الكون * *
 ولكن منهم من آمن ومنهم من كفر * * *

(٢) حْدَقَ : نظر * * *

(٣) فلاح : أي تبين له الشيء * * *

(٤) سورة آل عمران - ١١٠ * * ان التعبير قد أتى بكلمة « أخرجت » * * « كنتم
 خير أمة أخرجت للناس » انه تعبير يلفت النظر * * ويدل على اليسر المبصرة
 اللطيفة وهي تخرج هذه الأمة أخرجاً * * وتدفعها إلى الظهور دفعا من مللمات =

نونها « أفمن شرح لله صورة للإسلام فهو على نور من ربه » (١) . . .
وأما من أخطأ ذلك النور :

فقد طولب بكشف المعنى المقصود من حرف « كُنْ » . . فأنسه
غلط في هجائه . . وخاب في رجاءه . . فنظر إلى مثال « كُنْ » . .
فظن أنها كاف الكفرية بنون نكرة . . فكان من الكافرين . . .

وكان حظ كل مخلوق من كلمة « كُنْ » ما علم من هجائها وهجاء
حروفها . . وما شهد من سرائر خفائها دليله . . .

قوله : ﷺ : ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره .
فمن أصابه ذلك النور اهتدى . . ومن أخطأ ذلك النور ضل
وغوى (٢) . . .

— الغيب . . وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسماة . . لتعرف حقيقتها وقيمتها
فهي خير أمة قد أخرجها الله سبحانه وتعالى والله يريد أن تكون القيادة للخير
لا للشر في هذه الأرض . . وهذه الأمة أخرجت لتكون هي الطليعة وهي القيادة
لأنها خير أمة . . فهي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . . وبالحديث
الشريف : عن أبي هريرة رضي الله عنه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . .
قال : خير الناس للناس . . تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم . . حتى يدخلوا
في الإسلام . . أخرج البخاري . . وعن أبي سعيد الخدري . . رضي الله عنه
قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم
يستطع فبلسانه . . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . . أخرج مسلم .
إذا هذه الأمة هي التي أخرجها الله يقدره وحكمته وأرادته ولطفه . . فسبحان
الله العظيم . . .

(١) الزمر - ٢٢ . . .

(٢) جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما :
قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله خلق خلقه في ظلمة . . فالتقى عليهم من
نوره . . فمن أصابه ذلك النور اهتدى . . ومن أخطأ ضل . . فلذلك أقول
جفء القلم على علم الله . . أخرج الترمذي في باب الإيمان - رقم ٢٦٤٤ . .

فلما نظر آدم إلى دائرة الوجود .. فوجد كل موجود دائراً في
دائرة الكون .. واحد من نار .. وواحد من طين .. ثم رأى هذه
الدائرة على سرائر « كُنْ » فكيفما دار واستدار .. فاليها يأول^(١)
وعليها يَجُول^(٢) .. لا يزول عنها ولا يحول ..
فواحد شهد كان الكمالية ونون المعرفة ..
وواحد شهد كاف الكفرية ونون النكرة ..
فهو على حكم ما شهد راجع إلى نقطة دائرة « كُنْ » .. وليس
للمكسور أن يجاوز ما أراده المكُون ..
فاذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون ونوع ثمارها ..
علمت أن أصل ذلك ناشيء من حبة « كُنْ » بائن عنها ..
فلما أُدخل آدم في مكتب التعليم .. وعُلمَ الأسماء كلها ..
نظر إلى مثال « كُنْ » ونظر إلى مراد المكُون من المكُون .. وشهد
وشهد العلم من كاف « كُنْ » كاف الكفرية « كنت كنزاً مخفياً
لا أعرف فأحببت أن أعرف^(٣) » .. فنظر في سر النون .. نون الأنا

(١) يأول : يرجع عنها ويرتد ..

(٢) يَجُول : جَوْلًا وجَوْلَةً وجَوْلَانًا .. أي طاف ولم يستقر ..

(٣) الحدث كنز مخفياً لا أعرف .. فأحببت أن أعرف .. فخلقت خلقاً ..
فعرّفهم بي فعرّفوني ..

قال ابن تيمية : ليس من كلام النبي ﷺ : ولا يعرف له سنة صحيح .. ولا
ضميم .. وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم ..
وقال القاري : لكن معناه صحيحاً ومستفاد من قوله تعالى : « وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون » أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس رضي الله عنه ..
وأما المشهور على الألسنة .. كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت
خلقاً .. فعرّفهم بي فعرّفوني .. فهو واقع كثيراً في كلام الصوفية .. وقد
اعتمدوه وبوا عليه أصولاً لهم ..

« إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا » (١) . . .

فلما صح الهجاء وحُقق الرجاء . . استنبط له من كاف
الكفرية . . كاف التكريم . . « ولقد كرّمنا بني آدم » (٢) « وكاف
الكنيئة : كنت له سميّاً وبصراً ويداً . . واستخرج له من نور الأنا-
نون النورية « وجعلنا له نوراً » (٣) « واتصلت بها نون النعمة . .
« وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٤) . . .

وأما إبليس لعنه الله . . فإنه مكث في مكتب التعليم أربعين ألف
عام يتصفح حروف « كُنْ » ليشهد من تمثالها كاف كفره فتكبر (٥)
« أبى واستكبر » (٦) وشهد من نونها . . نون ناريتها « خلقتني من
نار » (٧) « فاتصلت كاف كفرية بنون ناريتها . . « فككبوا فيها » (٨) .

(١) سورة طه - ١٤ . . .

(٢) سورة الإسراء - ٧٠ . . أي لقد كرم الله سبحانه وتعالى هذا المخلوق البشري
على كثير من خلقه . . كرمه بخلقه على تلك الهيئة الجميلة . . وكرمه بهذه
النفرة التي تجمع بين الطين والنقطة . . فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك
الكيان . . كرمه بالاستعدادات المودعة فيه ويتسخّر القوى الكونية له . .
ويعطاه المستمر الذي لا نهاية له . . أفلا يعقل الإنسان . . ومن التكريم أن
يكون الإنسان قياً على نفسه . . متحملاً تبعة اتجاهه وعمله . . وهذه الصفة
الأولى الذي بها كان الكائن البشري إنساناً . . والتكريم لا عد له ولا حصر
فسبحان الله خالق الأكوان ومدبر الأمور ومفصل الآيات . . .

(٣) الأنعام - ١٢٢ . . .

(٤) سورة التحل - ٥ . . .

(٥) في الأصل - فكبر . . .

(٦) سورة البقرة - ٣٤ . . .

(٧) سورة الأعراف - ١٢ . . .

(٨) سورة الشعراء - ٩٤ « فككبوا » . . أنه صوت الكركبة الناشيء عن الكيكية . .

أنه تصافع وتتساقط بلا عناية ولا نظام . . في جهنم إبليس وجنوده . . انقلبوا

على بعضهم البعض بطريقة عشوائية . . .

فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة .. وتنوع أزهارها
 وثمارها .. فتثبت بغصن « إني أنا الله^(١) » فنودي^(٢) .. كل من
 ثمار التوحيد .. واستظل بظل التفريد « ولا تقربا^(٣) » .. فأراد
 ابليس أن يوصله بغصن « فوسوس لهما^(٤) » .. « فأكلا منها^(٥) » ..
 فزلقا في مزالق .. وعصى^(٦) .. واستمسك بغصن « ربنا ظلمنا
 أنفسنا^(٧) » .. فتدلت عليهما ثمار .. « فتلقى^(٨) » ..

فلما نودي يوم الأشهاد^(٩) .. على رؤوس

-
- (١) سورة القصص - ٣٠ ...
 (٢) الخطاب موجه لآدم عليه السلام ...
 (٣) سورة البقرة - ٣٥ ...
 (٤) سورة الأعراف - ٢٠ ...
 (٥) سورة طه - ١٢١ .. لقد أبيحت كل الثمار لآدم وزوجه في الجنة - إلا شجرة واحدة - ربما كانت ترمز للسحطور الذي لا بد منه في حياة الأرض .. فبنير محظور لا تثبت الإرادة ولا يتميز الإنسان خليفة خالقه في الأرض عن باقي المخلوقات .. ولا يمتحن صبره على الوفاء بالعهد والتقييد بالشرط .. فالإرادة هي الأساس في الامتناع عن الشهوة .. إلا أن ابليس بالمرصاد يريد الانغواء .. وماله عمل سواء .. وسوسة وتزيين وانغواء .. وعصى آدم عليه السلام أمر ربه فأكل من الشجرة .. وأفاق بعد عشرته ليبدرك رحمة ربه التي تدرك دوما عندما يشوب إليه ويلوذ به .. ان الله غفور رحيم ...
 (٦) سورة طه - ١٢١ ...
 (٧) سورة الأعراف - ٢٣ ...
 (٨) سورة البقرة - ٣٧ ...
 (٩) يوم الإشهاد : هو اليوم المشهود .. أي يوم عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر به الخلائق بأسرهم من الجن والإنس .. هو يوم القيامة .. ويوم الحساب ...

الأشهاد^(١) . . « ألسنت بر بكم^(٢) » . . فشهد كل على مقدار ما شهد
وسمع . . ثم اتفق الكل في الإيجاب « قالوا بلى^(٣) » . . .

لكن الاختلاف وقع من حيث الأشهاد :

فمن أشهده جمالية ذاته . . شهد أنه « ليس كمثله شيء^(٤) » . .
ومن أشهده جمالية صفاته . . شهد أنه « لا إله إلا هو الملك
القدوس^(٥) » . . .

فقوم جعلوه محدوداً . . .

وقوم جعلوه معدوماً . . .

وقوم جعلوه حجراً جليماً . . .

(١) الأشهاد : هم الشهود من الملائكة . . الكاتون الحفظة . . حدثنا مسدد . .
حدثنا يزيد بن زريع . . حدثنا سعيد وهشام قالا . . حدثنا قتادة عن صفوان
ابن محرز قال . . بينا ابن عمر يطوف . . إذ عرض رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن
أو قال . . يا ابن عمر . . سمعت النبي ﷺ يقول : يدنى المؤمن من ربه . . وقال
هشام . . يدنو المؤمن . . حتى يضع عليه كنفه فيقرر بذنوبه . . تعسرف ذنب
كذا . . ؟؟ يقول : أعرف . . يقول : رب أعرف مرتين . . فيقول : سترتها في
الدنيا . . واغفرها لك اليوم . . ثم تطوى صحيفة حسناته . . وأما الآخرون
أو الكفار . . فينادي على رؤوس الأشهاد . . « هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
الا لعنة الله على الظالمين » . . . أخرجه البخاري في صحيحه . . .

(٢) سورة الأعراف - ١٧٢ . . .

(٣) سورة الأعراف - ١٧٢ . . .

(٤) سورة الشورى - ١١ . . .

(٥) سورة الحشر - ٢٣ . . .

والكل في ذلك على حكم « قل لن يصيبنا ^(١) » .. وهو مستبطن في سر كلمة « كُنْ » دائر على نقطة دائرتها .. ثابت على أصل حبتها .. فلما كانت هذه الحبة برز شجرة الكون .. وبررت ثمرتها .. ومعنى صورتها .. أحببت ان أجعل للمكون مثالا وللوجود تمثالا .. ولما ينتج فيه من الأقوال والأفعال والأحوال منوالا .. فمثلت شجرة نبتت عن أصل حبة « كُنْ » .. وكل ما يحدث في الكون من الحوادث .. كالنقص والزيادة .. والغيب والشهادة .. والكفر والإيمان .. وما تثمر من الأعمال وزكاة الأحوال .. وما يظهر من أزاهير القول .. والتوق ^(٢) .. والذوق ولطائف المعارف .. وما تورق به من قريات المقربين .. ومقامات المتقين .. ومنازلات الصديقين .. ومناجاة العارفين .. ومشاهدات المحبين .. كل ذلك من ثمرها الذي أثمرته .. وطلعها الذي أطلعته ..

فأول ما أنبتت هذه الشجرة التي هي حبة « كُنْ » ثلاثة أغصان:

أخذ غصن منها ذات اليمين .. فهم : « أصحاب اليمين ^(٣) » ..

وأخذ غصن منها ذات الشمال .. فهم : « أصحاب الشمال ^(٤) » ..

ونبت غصن منها معتدل القائمة على سبيل الاستقامة .. فكان

منه « والسابقون المقربون ^(٥) » ..

(١) سورة التوبة ٥١ ...

(٢) التوق : تاقَ تَوْقًا .. أي الاشتياق ...

(٣) سورة الواقعة ... ٩٠ ...

(٤) سورة الواقعة ... ٤١ ...

(٥) سورة الواقعة ... ١١ ...

فلما ثبت واستعمل . . . جاء من فرعها الأعلى . . . وجاء من فرعها
الأدنى . . . عالم الصورة والمعنى . . .

فما كان من قشورها الظاهرة وستورها البارزة فهو : عالم
المَلِك' (١) . . .

وما كان من قلوبها الباطنة ولباب معانيها الخافية فهو : عالم
المَلَكُوت' (٢) . . .

وما كان من الماء الجاري في شرياناتها وعروقها الذي حصل به
تموّها وحياتها وسموّها . . . وبه طلعت أزهارها . . . وأينعت ثمارها
فهو : عالم الجَبَرُوت' (٣) . . . الذي هو سر كلمة « كُنْ » . . .

ثم أحاط بالشجرة حائط . . . وحدّ لها حدوداً . . . ورسم لها
رسوماً . . .

فحدودها الجهات وهن : العلو والسفل واليمين والشمال ووراء
وأمام . . . فما كان أعلى فهو حدها الأعلى . . . وما كان أسفل فهو
حدها الأسفل . . .

وأما رسومها . . . ما فيها من الأفلاك والأجرام والأملّك والأحكام
والآثار والأعلام . . . فجعل السبع الطباق بمنزلة ما يستظل به من

(١) عالم المَلِك' : المَلِك' اسم من أسماء الله تعالى - فهو مالك الملك ذو الجلال
والإكرام . . . وهو المالك المطلق . . . مالك الملوك . . . ومالك يوم الدين . . .
صاحب الأمر الأول والأخير . . .

(٢) عالم المَلَكُوت' : المَلَكُوت' العظيم . . . أي تقديس الله سبحانه وتعالى الذي بيده
مقاييد السموات والأرض . . . وإليه يرجع المباد يوم المعاد ليجازي كل عامل
بعمله . . . وإليه يرجع الأمر كله . . . وفي قول الجرجاني . . . المَلَكُوت' هو عالم
الغيب المختص بالأرواح والنفوس . . .

(٣) الجَبَرُوت' : أي - القنهر . . .

الأوراق .. وجعل الكواكب في الاشراف بمنزلة الأزهار في الآفاق ..
وجعل الليل والنهار بمنزلة ردأين مختلفين .. أحدهما أسود
يرتدي به ليحتجب عن الأبصار .. والآخر أبيض يرتدي به ليتجلى
على ذوات الاستبصار ...

وجعل العرش بمنزلة بيت مال هذه الشجرة .. وخزانة
سلاحها .. فمنه يستمد ما فيه من صلاحها .. وفيه سواس^(١) هذه
الشجرة وخدمها « وترى الملائكة حافين من حول العرش^(٢) » .. إليه
يتوجهون .. وعليه يعولون^(٣) .. وحوله يحومون .. وبه يطوفون
وحيثما كانوا فاله يشيرون ...

فمتى حدث في هذه الشجرة حادثة أو نزل شيء منها نازلة ..
رفعوا أيدي المسألة والتضرع إلى جهة عرشه يطلبون الشفا ..
ويستعفون عن الخطأ .. لأن موجد هذه الشجرة .. لا جهة إليه
يشار إليها .. ولا أبنية له يقصدونها .. ولا كيفية له يعرفونها ..
فلو لم يكن العرش جهة يتوجهون إليه للقيام بخدمته .. ولأداء
طاعته .. لضلوا في طلبهم .. فهو سبحانه وتعالى .. إنما أوجد
العرش إظهاراً لقدرته .. لا محلاً لذاته .. وأوجد الوجود للحاجة
له به .. وإنما هو إظهار لأسمائه وصفاته ...

(١) سواس : من السياسة العليا لله تعالى في الظاهر والباطن ...

(٢) سورة الزمر - ٧٥ ...

(٣) يعولون - من العول وهو الاتكال والاستئانة والاعتماد ...

فان من أسمائه .. الغفار .. ومن صفاته .. المغفرة (١) ..
 ومن أسمائه .. الرحيم .. ومن صفاته الرحمة (٢) ...
 ومن أسمائه .. الكريم .. ومن صفاته .. الكرم (٣) ...
 فاختلفت أغصان هذه الشجرة .. وتنوعت ثمارها .. ليظهر
 سر مغفرته للمذنب (٤) .. ورحمته للمحسن .. وفضله للطائع ..

- (١) الغَفَّارُ : من أسماء الله تعالى .. والمغفرة بيده سبحانه وتعالى .. وفي قول ابن تيمية : هي وقاية من شر الذنب بحيث لا يعاقب عليه .. فمن غفر له ذنبه لم يعاقب عليه فأنه تعالى هو الغفور ...
 وكما قال الليث : يقال .. اللهم اغفر لنا مغفرة وغفراً وغفرانا إنك أنت الغفور الرحيم ...
- (٢) الرحيم من الرحمن .. من أسماء الله تعالى .. الرحمن الرحيم .. الكثير الرحمة .. وهو وصف مقصور على الله عز وجل .. ولا يجوز أن يقال لغيره .. والرحيم خاص في رحمة الله تعالى لعباده المؤمنين بأن هداهم الى الايمان وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع ...
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : لما خلق الله الخلق كتب في كتابه .. هو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش .. ((إن رحمتي تغلب غضبي)) ...
- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد .. ومسلم في التوبة .. والنسائي في النعمت وقال الترمذي رحمه الله حديث حسن صحيح غريب ...
- (٣) الكريم : من أسماء الله تعالى .. هو الكريم بعباده .. فقد كرم الإنسان عن باقي المخلوقات .. وهبه الخير والرزق .. فسبحانه وتعالى .. الغفار والرحمن والكريم ...
- (٤) عن أبي أوفى رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : اني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً .. فعلمني ما يجرئني .. قال : قل : سبحان الله والحمد لله .. ولا إله إلا الله .. والله أكبر .. ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الرجل : يا رسول الله : هذا لله .. فماذا لي .. قال قل اللهم ارحمني وعافني واهدني وارزقني .. فقال : هكذا بيديه .. وقبضهما فقال رسول الله ﷺ .. أما هذا فقد ملايديه خيراً .. من الخير .. أخرجه أبو داود رقم ٨٣٢ .. باب ما يجزي به الأمي من القراءة ...

وعدله للعاصي .. ونعمته للمؤمن .. ونقمته على الكافر ...

فهو مقدس في وجوده عن ملامسته ما أوجده .. ومجانيته ..
ومواصلته .. ومناصلته .. لأنه كان ولا كون^(١) .. وهو الآن
كما كان لا يتصل بكون .. ولا ينفصل عن كون .. لأن الوصل
والفصل من صفات الحدوث .. لا من صفات القدم .. لأن الاتصال
والانفصال يلزم منه الانتقال والارتحال .. ويلزم في الانتقال
والارتحال التحول والزوال والتغير والاستبدال .. وهذا كله من
صفات النقص .. لا من صفات الكمال .. فسبحاته وتعالى عما
يقول الظالمون والباحدون علواً كبيراً ...

ثم جعل اللوح والقلم^(٢) بمنزلة كتاب الملك ' وما يُسَطَّر فيه
من أحكامه .. وما حكم بنقضه وإبرامه وإيجاده وإعدامه ..
وما يخرج من برّه وإنعامه .. وما يكون من ثوابه وانتقامه ...

ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه الشجرة ..
يقوم تحتها بخدمته وينتد أحكامه .. ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة
هذه الشجرة وما يدانيها ...

ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك الذي هو اللوح المحفوظ ..
وما يحدث في هذه الشجرة من محو وإثبات .. ونقص وزيادة ..

(١) عن أبو رزين العقيلي رضي الله عنه . قال . قلت يا رسول الله .. أين كان
ربنا قبل أن يخلق خلقه ... قال : كان في عماء ما تحته هواء .. وما فوقه
هواء .. وخلق عرشه على الماء .. أخرجه الترمذي . رقم ٣١٠٨ في التفسير ..
والعماء في اللغة السحاب الرقيق .. وقيل الكثيف .. وقيل الصباب وقال
الأزهري . والعماء - نحن نؤمن به ولا نكيّفه بصفة ...

(٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه .. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
أول ما خلق الله القلم .. فقال له : اكتب .. فجري بما هو كائن إلى الأبد ...

فلا يتجاوز تلك الشجرة ٠٠ إذ لكل واحد منهم حد مفهوم ٠٠ وحظ مقسوم ٠٠ ورسم مرسوم ٠٠ وما منا إلا له مقام معلوم ٠٠٠

ولا يرفع شيء من ثمرة هذه الشجرة من دَنَى (١) أو سَنَى (٢) .
أو صغير أو كبير ٠٠ أو جليل أو حقير ٠٠ أو قليل أو كثير ٠٠ إلا ختم عليه في كتاب ٠٠ لا يقادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ٠٠٠

ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى خزانتيه اللتين ادخرهما لثمرة هذه الشجرة ٠٠ وهما : الجنة والنار ٠٠٠

فما كان من ثمر طيب ٠٠ ففي خزانة الجنة ٠٠ « كلا ان كتاب الأبرار لي عليين (٣) » ٠٠٠

وما كان من ثمر خبيث ٠٠ ففي خزانة النار ٠٠ « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين (٤) » ٠٠٠

فأما الجنة فدار « أصحاب اليمين (٥) » ٠٠ من جانب الطور الأيمن من الشجرة الطيبة ٠٠٠

وأما النار فدار « أصحاب الشمال (٦) » من الشجرة الملعونة في القرآن ٠٠٠

ثم جعل الدنيا مستودع زهرتها ٠٠ والآخرة مستقر ثمرتها ٠٠ وأحاط على هذه الشجرة حائط ٠٠ إحاطة القدرة « وكان الله بكل

(١) دَنَى : في الأمر يتبعها ٠٠ يتقرب منها ٠٠٠

(٢) سَنَى : الرفيع المقام ٠٠٠

(٣) سورة المطففين - ١٨ ٠٠٠

(٤) سورة المطففين - ٧ ٠٠٠

(٥) سورة الواقعة - ٩٠ ٠٠٠

(٦) سورة الواقعة - ٤١ ٠٠٠

شيء محيطاً^(١)» وأدار عليها دائرة الإرادة .. يفعل ما يشاء ..
ويحكم ما يريد ...

فلما ثبت أصل هذه الشجرة .. وثبت فرعها .. التقى طرفاها ..
ولحق أخراها بأولها .. «إلى ربك منتهاها»^(٢) .. إلى مبتدأها ..
لأن من كان أوله «كُنْ» كان آخره يكون .. فهي وإن تمددت
فروعها .. وتنوعت زروعها .. فأصلها واحد .. فهي حبة كلمة
«كُنْ» وسيكون آخرها واحداً .. كلمة «كُنْ» ...

قلو أهدقت ببصر بصيرتك .. لرأيت أغصان «طوبى»^(٣) ..
معلقة بأغصان شجرة «الزقوم»^(٤) .. ويرد نسيم الترب يمازج
حرّ السموم .. وظل سماء الوصل متصل بظل من يحْمُوم^(٥) ..
وقد تناول كلّ حظه المقسوم ...

فواحد يشرب من كأسه المختوم ...

وواحد يشرب من كأسه المحتوم ...

وواحد من بينهم محروم ...

فلما برزت أطفال الوجود من حضرة العدم .. هبت عليهم
تسمات القدرة .. وغدتها لطائف الحكمة .. وأمطرتها عجائب

(١) سورة التسماء — ١٢٦ ...

(٢) سورة النازعات — ٤٤ ...

(٣) طوبى : الغبطة والسرور .. يقال طوبى لك .. لك العيش الطيب ...

(٤) الزقوم : كل طعام قاتل : وهي شجرة كريهة الرائحة في جهنم يأكل منها أهل النار ...

(٥) اليحموم : الأسود من كل شيء ...

الارادة بعجائب الصنع - فأنبت كل غصن منها ما سبق له في القدم .
وركب في عنصره من الصحة والسقم . . .

والكون كله من عنصرين مستخريين من جزعين من كلمة
« كُنْ » . . وهما : الظلمة والنور . . فالخير كله من النور . .
والشر كله من الظلمة . . .

فملاً الملائكة موجود من عنصر النور . . فكان منهم الخير . .
« لا يعصون الله ما أمرهم ^(١) » . . .

وملاً الشياطين من عنصر الظلمة . . فكان منهم الشر . . .

وأما بني آدم فانهم جعلت طينتهم من الظلمة والنور . . وركب
عنصره من الخير والشر . . والنفع والضرر . . وجعلت ذاته قابلية
للمعرفة والتكرة . . فأى جوهر غلب عليه نسب إليه . . .

فان علا جوهر نوره على جوهر الظلمة . . وظهرت روحانيته
على جسمانيته . . فقد فضل على الملك وعلا على الفلك . . .

وان قلب جوهر ظلمته على جوهر نوره . . وظهرت جسمانيته
على روحانيته . . فقد فضل على الشيطان . . .

فلما قبض الله آدم من قبضة تراب « كُنْ » مسح ^(٢) على ظهره

(١) سورة التحريم - ٦ - وبالحديث الشريف . . من عائشة رضي الله عنها قالت .
قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار . .
وخلق آدم مما وصف لكم » . . . أخرجه مسلم . . .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح
ظهره . . فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة . . وجعل بين
عيني كل انسان منهم وميضاً من نور . . ثم عرضهم على آدم . . فقال : أي رب :
من هؤلاء . . ؟ قال : هؤلاء ذريتك . . فرأى رجلاً منهم فأعجبه وميض
ما بين عينيه . . فقال : أي رب . . من هذا . . ؟ قال : هذا رجل من
آخر الأمم من ذريتك يقال له داود . . فقال : أي رب . . كم جعلت عمره . . ؟ . . =

« ليميز الله الغيث من الطيب (١) » . . .

فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين . . فأخذوا ذات اليمين . . .

واستخرج من ظهره من كان من أصحاب الشمال . . فأخذوا ذات الشمال . . .

وما زاع أحد عن المراد وما مال . . ومن قال : ليم . . ؟؟ . .
فقد أخطأ في السؤال . . .

فأول من عمل حوالي هذه الشجرة إلى حبة « كُنْ » . . فاعتصر صفوة عنصرها . . ومخضها (٢) حتى بدت زبدتها . . ثم صفاهها بمصفاة الصفوة . . حتى زال وخمها (٣) . . ثم ألقى عليها من نور هدايته . . حتى طهر جوهرها . . ثم عمسها في بحر الرحمة . . حتى عمت بركتها . . ثم خلق منها نور نبينا محمد ﷺ . . ثم

= قال : ستين سنة . . قال : أي رب زده من عمري أربعين سنة . . فلما قضى عمر آدم جاده ملك الموت . . فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة . . ؟؟ . .
قال : أولم تعطها ابنك داود . . ؟؟ . . فجحد آدم . . فجعدت ذريته . . ونسي فتست ذريته . . وخطيء آدم فخطئت ذريته . . . أخرجته الله مني . . وذكر في الأحاديث القدسية ص ١٠٠ . . وأخرجه أبو داود في باب القدر ٤٦٩٢ . . .

(١) سورة الأنفال - ٣٧ . . .

(٢) مخضها : ينحصر منفض أي حرك الشيء بشيء . . .

(٣) وخمها : ألوحتم - الأوسنة . . .

(٤) من جابر بن عبد الله السدوسي قال قلت يا رسول الله أي أنت رأيي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء . . قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره . . فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله . . ولم =

زين بنور الملاء المسطور .. وآخرهم في الظهور^(١) .. وقائدهم في
النشور^(٢) .. ومتوجههم بالحبور .. ومبشرهم بالسرور .. فهو
مستودع في ديوان الانس .. مستقر في رياض الانس .. وحضرة
الانس .. ستر معنى روحانيته بستر جسمانيته .. وغطى عالم
شهوده بعالم وجوده .. فهو مستخرج في الكون .. مستنبط لأجله
الكون .. وذلك أن الله تعالى كوّن الأكوان اقتداراً عليها ..
لا افتقاراً إليها .. وكمال حكمته في التكوين .. لاظهار شرف الماء
والطين .. فانه أوجد ما أوجد ولم يقل في شيء من ذلك ...

قال تعالى « اني جاعل في الأرض خليفة^(٣) » .. وكان وجود
الآدمي .. وكانت حكمته في وجود الآدمي لاظهار شرف النبي ﷺ ..

= يكن في ذلك لوح ولا قلم ولاجنة ولا نار ولا ملك ولا اسماء ولا ارض ولا شمس
ولا قمر ولا جني ولا إنس .. فلما أراد أن يخلق الخلق .. قسم ذلك النور
أربعة أجزاء .. فخلق من الجزء الأول القلم .. ومن الثاني اللوح .. ومن
الثالث العرش .. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء .. فخلق من الجزء الأول حملة
العرش .. ومن الثاني الكرسي .. ومن الثالث باقي الملائكة .. ثم قسم الجزء
أربعة أجزاء : فخلق من الأول السموات .. ومن الثاني الأرض .. ومن الثالث
الجنة والنار .. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء .. فخلق من الأول نور
أبصار المؤمنين .. ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله .. ومن الثالث
نور أنسهم وهو التوحيد .. لا إله إلا الله محمد رسول الله .. الحديث .. رواء
عبد الرزاق بسنده .. راجع كشف الحقائق ومزيل الالباس الجزء الأول منه
صفحة رقم ٣١١ - ٣١٢ ..

(١) يقصد ظهور الأنبياء ...

(٢) النشور : هو يوم النشور يوم القيامة ...

(٣) سورة البقرة - ٣٠ ...

لأنه حكمة الأجساد لاستخراج كاف الكنزية « كنت كنزاً مخفياً لا أعرف^(١) » .. فكان المقصود في الوجود معرفة موجدهم سبحانه وتعالى .. وكان المخصوص بأتم المعارف قلب سيدنا محمد ﷺ .. لأن معارف الكل كانت تصديقا وإيمانا .. ومعرفة صلى الله عليه وسلم مشاهدة وعيانا .. وبنور معرفته صلى الله عليه وسلم تعرفوا .. ويفضله عليهم اعترفوا .. فاستخرجته من لباب حبة « كُنْ » « كزorc أخرج شطاه فأزوره^(٢) » « فاستغلظ^(٣) » .. بصحابته بقرابته .. « فاستوى على سوقه^(٤) » .. بصحة ذوقه .. وقوة توقه وشوقه ...

فلما ظهر هذا الغصن المحمدي .. وسما^(٥) .. أورك عوده .. ونما .. فانهل عليه سحب القبول وهَمَى^(٦) .. وتباشر بظهور الحدثان .. وبشر بوجود الثقلان^(٧) .. وتمطرت بقدومه الأكوان^(٨) .. وانتكست بمولسده الأوثان .. ونُسخت بمبعثه الأديان .. ونزل بتصديقه القرآن .. واهتزت طريبا شجرة الأكوان .. وتحرك ما فيها من الألوان والعيان .. فكان من أقصان هذه الشجرة .. من أخذذات الشمال ومال يهوى الضلال ...

(١) انظر صفحة رقم (٤٥) حاشية رقم (٣) من هذا الكتاب ...

(٢) (٤٣ و٤٢) سورة الفتح - ٢٩ ...

(٥) سَمَا - يَسْمُو - سَمُوْا - أي علا مقامه وارفع ...

(٦) وهَمَى - من هَامَ - وهَيْمًا - وهِيَامًا .. أي لقد ارداد عطشه لحب الله تعالى

سما حملة على الهيام ...

(٧) الثقلان - الإنس والجر ...

(٨) الأكوان - جمع كون - أي عالم الوجود كله ...

فلما أرسلت الرياح الارسال برسالة : « وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين ^(١) » •• استنشقتها من سبقت لهم منا الحسنى فمال إليهما
متعطفاً •• وأما من كان مزكوماً ^(٢) •• أو من خلع القبول محروماً
فإنه عصفت به عواصف القدرة فأصبح بعد نضارته يابساً ••
ووجه سعادته عابساً •• وراح من رجاء فلاحه قانطلاً آيساً ^(٣) ••
وكان سر هذا الفصن لقاح شجرة الجود •• ودرة صدفه
الوجود •••

وكان من روح روحانيته « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً
ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ^(٤) » •• فهو
مصباح ظلمة الكون •• وروح جسد الوجود •• لأن الله تعالى لما
خاطب السموات والأرض •• قال لهما : « أتتيا طوعاً أو كرها قالتا
أتينا طائعين ^(٥) » فأجابه موضع الكعبة من الأرض •• فلما أمر الله
بالقبضة التي قبضت من الأرض لخلق آدم عليه السلام •• فقبضت
من سائر الأرض •• من طيبها وخبيثها •• فكانت طينة نبينا
محمد ﷺ مخلوقة من موضع الكعبة التي هي محل الايمان بالله تعالى •
ثم عجن تلك الطينة بطينة آدم عليه السلام •• فكانت تلك الطينة

(١) سورة الأنبياء - ١٠٧ •••

(٢) مزكوماً - أي المصاب بالزكام - ويقصد به مزكوم القلب لقوله تعالى وحتم على
قلوبهم •••

(٣) آيساً : من آيس •• أي : يقنط ويياس ويقطع الرجاء •••

(٤) سورة الأحزاب - ٤٥ - ٤٦ •••

(٥) سورة فصلت - ١١ •••

بمنزلة الخميرة .. ولولا ذلك لما أطاقوا^(١) الاجابة يوم الاشهاد^(٢) .
وهو معنى قوله ﷺ .. « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين^(٣) » ..
فكانت ذوات الوجود .. وبركته من ذرة وجوده ...

فلما أشهدهم على أنفسهم في حضرة شهوده .. قال : « أأست
بريكم قالوا بلى^(٤) » .. فسرت في أجزاء ذراتهم تلك الخميرة النبوية
فانطلقت بأذن الله تعالى ألسنتهم بالتلبية قائلة : فمن كانت طينته
قابلة للتخمير بما سبق في التقدير .. بقي معه ذلك التخمير باقياً
فيه مستصحباً « حتى ظهر إلى الحس » .. وظهر في تلك الصورة ..
فيميز ذلك المعنى محققاً لتلك الدعوى .. فأشرق نور ذلك المعنى
الروحاني على ما يحاذيه من الجسد الجسماني .. فأشرق الجسد
بعد ظلمته .. فاستنارت الجوارح لرشدها فعملت بالطاعة ..
وأما من كانت طينته خبيثة غير قابلة للتخمير .. وإنما أثرت تلك
الخميرة مقدار ما اعترف عند الاشهاد .. وأفصح في ذلك الاقرار
في حال الاستقرار ...

-
- (١) أطاقوا : من طاقَ - يَطْوُقُ - طَوْقاً .. طاقة .. الشيء قدر عليه ...
(٢) الإشهاد : اليوم المشهود .. هو يوم عظيم تحضر فيه الملائكة .. ويجتمع فيه
الرسل .. وتحضر به الخلائق بأسرهم من الجن والإنس والحيوان .. وهو يوم
المعاد يوم القيامة ...
(٣) لم نجد حديثاً بهذا اللفظ .. بل جاء الحديث كما يلي :
عن أبو هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟؟
قال : وآدم بين الروح والجسد ...
أخرجه الترمذي في باب ما جاء في فضل النبي ﷺ .. ورواه أحمد في المسند
ج ٤ ص ٦٦ .. حديث حسن صحيح ...
(٤) سورة الأعراف - ١٧٢ ...

ثم طال عليها الأمد ففسدت تلك الخميرة بفساد تلك الطينة . .
فكأنه كان مستودعاً . . فاسترجع منه ما استودع . . إذ لم يكن
لحفظها أهلاً فهو مستودع « أعني الايمان في قلوب الكافرين مستقر
في قلوب المؤمنين ، وهو معنى قوله يُنْفَخُ : « كل مولود يولد على
الفطرة ^(١) » التي فطر الله الناس عليها . . وهو تساويهم في الايمان
في قول : « ألسنت بربكم فالوا بلي ^(٢) » واستووا في التلبية . . ونطقوا
بالاجابة لسريان تلك الخميرة النبوية في أجزاء ذراتهم . . .

وقد سبق في علم الله تعالى . . ونقد تقديره . . فمن تبقى على
ذلك الاقرار لا يستحيل إلى الجحود والانكار . . وكل ما يحدث في
شجرة الكون من نمو وزيادة . . وأزهار وأثمار وأفكار . . ومتشابهة
شوق . . ومحكم ذوق . . وصفاء أسرار . . ونسييم استغفار . .
وما ينمو به من الأعمال . . وتزكوا به الأحوال . . وما تورق به
من رياضات النفوس . . ومناجاة القلوب . . ومنازلات الأسرار . .
ومشاهدات الأرواح . . وما ينبت به من آواهير الحكم . . ولطائف
المعارف . . وما يصعد من طيب الأنفاس ^(٣) . . وما يعقد من ورق
الايناس ^(٤) . . وما ينشأ من رياح الارتياح . . وما يبني من على
أصلها من مراتب أهل الاختصاص . . ومقامات الخواص . .
ومنازلات الصديقين . . ومناجاة المقربين . . ومشاهدات المحبين . .

(١) أخرجه مسلم وبخاري . . .

(٢) سورة الأعراف - ١٧٢ . . .

(٣) راجع الصفحة رقم (١٦) حاشية رقم (٢) من هذا الكتاب . . .

(٤) الإيناس : مصدر أنس - يأنس - أنساً . . ألف الشيء . . أو كان أليفاً معه . .

كـل ذلـك مـن لـقـاح الفـصـن المـحمـدي ٠٠ مـتـوقـد مـن نـورـه ٠٠
مـسـتـمـد مـن نـمـاء كـوثرـه (١) ٠٠ مـغـزى بـلـبـاب (٢) بـرّـه (٣) ٠٠ مـربى فـي
مـهـد هـدـايـتـه ٠٠ فـلـذلـك عـمـت بـرـكـاتـه ٠٠ و تـمـت عـلى الخـلائـق رـحـمـتـه ٠
« و ما أرنـلـك إلـا رـحـمـة لـلعـالمـين (٤) » ٠٠٠ فـلـما مـهـد لـأجلـه الدار (٥) ٠
و سـخـر مـن أـجلـه اللـيل والنـهار ٠٠ و رـسـم الرـسـوم ٠٠ و حـدّد الأـقـطار
و تـوّه بـذـكـره ٠٠ و نـبـه عـلى سـره و قـدرـه ٠٠ و آخـذ المـيثـاق عـلى تـصـديـقه
و التـمـسـك بـحـبل تـحـقـيقـه ٠٠ جـلا (٦) عـروس شـريـعـتـه ٠٠ عـلى آتـبـاعـه
و شـيـعـتـه ٠٠ ثم خـتم بـنبـوتـه الأنـبـيـاء ٠٠ و بـكـتـابـه الـكـتب ٠٠ و بـرـسـالـتـه
الرسل ٠٠ فـمـن اـحـتمى بـحـمى شـريـعـتـه سـلـم (٧) ٠٠ و مـن اسـتـمـسـك

(١) كـوثرـه ٠٠ مـن الكـوثر — هو شراب عذب — نهر فـي الجـنـة ٠٠٠
عـن أنـس بـن مـالـك رـضـي الله عـنـه ٠٠ قال : بـيـنـما ذـات يـوم بـيـن أظـهـرنا « يـريـد
النـبي ﷺ » إذ أغـفـى اغـفـاء ٠٠ ثم رـفـع رأسـه مـتـبـسـماً ٠٠ فـقـلت لـه : ما أضـحـكـك
يا رـسـول الله ٠٠؟؟؟ قال : نـزلت عـلـيَّ أنـفـأ سـورـة ((بـسم الله الرـحـمـن الرـحـيم
إنا أعـطـيناك الكـوثر فـصل لربـك وانـحر إـن شـائـتـك هو الأـبـتر)) ٠٠٠
ثم قال : هل تـدرون ما ذـلـكـوثر ٠٠؟؟؟ قلنا : الله و رـسـولـه أعلم ٠٠ قال : فـإنـه
نهر و عـدنيـه ربي فـي الجـنـة ٠٠ آتـيـتـه أكـثـر مـن عـدد الكـواكـب ٠٠ تـردـه عـلى أمتي
فـيـخـتـلـج العـبـد مـنـهم ٠٠ فـاقـول : يا رب ٠٠ انه مـن أمتي ٠٠ فيقول ٠٠ انك
لا تـدرى ما أـحـدث بـعدك ٠٠٠

(٢) اللـبـاب ٠٠ المـخـتار الخـالص مـن كـل الشـوائب والأشـيـاء ٠٠٠
(٣) برّـه : مـن برّ — أي الإحسان — المـطـاء — الخـير — المـطـاء — الصدق — العدل ٠٠
المدل ٠٠٠

(٤) سورة الأنبياء — ١٠٧ ٠٠٠
(٥) يقصد دار الدنيا — الأرض ٠٠٠
(٦) جـلا : مـن يـجـلـو جـلّوا و جـلّاء ٠٠ أي الأمر كـشـفه و أوضـحه ٠٠٠
(٧) سـلـم : مـصـدر سـلاماً — سـلامـة : أي نـجـاتـه مـن الـخـطـر ٠٠ و سـلام مـن الـعـيب ٠٠

بحبل ملته عَصَمَ^(١) ٠٠ لما توسل به آدم عليه السلام ٠٠ سلم من
 الملام ٠٠ ولما انتقل إلى صلب إبراهيم الخليل ٠٠ صارت النار عليه
 برداً وسلاماً ٠٠ ولما أودعته صدفة إسماعيل فدى بذبح عظيم ٠٠
 فثمررة غصن آدم « يُيمين » يحبهم ويعبونه^(٢) « وثمررة غصن
 أصحاب الشمال ٠٠ « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم^(٣) » ٠٠
 وثمررة غصن السابقين المقربين « محمد رسول الله والذين معه أشداء
 على الكفار رحماء بينهم^(٤) » ٠٠ فبركته على الآفاق قد عمت ٠٠
 وكلمته قد تمت ٠٠٠

وخلق آدم على صورة اسمه لأن اسمه محمد ﷺ ٠٠٠
 فرأس آدم يتدويره دائرة على صورة « الميم » الأولى من اسمه ٠
 وارسال يده على جنبه على صورة « الحاء » ٠٠٠
 وبطنه على صورة « الميم » الثانية ٠٠٠

-
- (١) عَصَمَ : يَعْصِمُ - عَصَمًا - وَعَصْمَةً ٠٠ في الاعتصام بالله من المكروه ٠٠
 لحفظه ووقايته من كل شر ٠٠٠
- (٢) سورة المائدة - ٥٤ ٠٠ قوله سبحانه وتعالى : يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم
 عن دينه ٠٠ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويعبونه أذلة على المؤمنين ٠٠ أعزة
 على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه
 من يشاء والله واسع عليم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ٠٠٠
- (٣) سورة الأنفال - ٣٣ ٠٠٠ عن عبد الحميد صاحب الزيادي : سمع أنس بن مالك
 قال : قال أبو حميل : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ٠٠ فامطر علينا حجارة
 من السماء ٠٠ أو اثنتا بعذاب أليم ٠٠ فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
 وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ٠٠ وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون
 عن المسجد الحرام ٠٠ الآية ٠٠٠ أخرجه البخاري ٠٠
- (٤) سورة الفتح - ٢٩ ٠٠٠

وقدميه في انتفاخهما على صورة « الدال » . . .

فكامل خلق آدم على صورة محمد ﷺ . . .

وقولنا كوّن الأكوان على هيئة رسمه . . لأن العالم عالمان . .
« عالم الملك^(١) » . . و . . « عالم الملكوت^(٢) » . . فعالم الملك
كمانهم جسمانيته . . وعالم الملكوت كمالهم روحانيته . . فكثيف
العالم السفلي ككثيف جسمانيته . . ولطيف العالم العلوي كلطيف
روحانيته . . فما في الأرض من الجبال التي جعلت الأرض أوتاداً
فهي بمنزلة جبال عظامه التي جعلت أوتاد جسده . . وما فيها من
بحار مسجورة^(٣) جارية وغير جارية . . عذبة وغير عذبة . . فهي
بمنزلة ما في جسده من دم جار في تيار العروق . . وساكن في اختلاف
جداول الأعضاء واختلاف أذواقها . . .

فمنها ما هو عذب وهو ماء الريق^(٤) يطيب بعجينة المأكـل
والمشارب . . .

ومنها ما هو مالح وهو ماء العين تحفظه شحمة العين . . .

ومنها ما هو مرّ وهو ماء الأذن لصيانة الأذن من حيوان
ودبيب^(٥) يصل إليها فيقتله ذلك الماء . . .

(١) عالم الملك : من أسماء الله الحسنى الملك - والله تعالى هو المالك المطلق وصاحب الأمر . . وإليه ترجع الأمور . . .

(٢) عالم الملكوت : الملك العظيم . . وهو بيده مقاليد السموات والأرض . . وإليه يرجع العباد يوم المآد . . .

(٣) مسجورة : من سجور : أي منتظم . . منتظم مع نظامه . . الساكن والممتلئ ماء والبحر المسجور . . الممتلئ نارا يوم القيامة . . لقوله تعالى : « وإذا البحار سجرت » أي أوقدت قصارت نارا مضطربة . . .

(٤) الريق : جمع أرياق . . ورياق . . لعاب الفم . . .

(٥) الدبيب . . هو دبيب جراثيم لا ترى بالعين المجردة . . تسير على أقدام ولا تطير .

ثم في أرض جسده ما ينبت كالأرض الجزر^(١) . . . والأرض
السبخة^(٢) . . . التي لا تنبت ويستحيل النبت فيها . . .

ثم لما كان في الأرض بحار عظيمة^(٣) . . . تتفرع منها أنهاراً
وسواق^(٤) لنفع الناس بها . . . كذلك في أرض جسده عروق غلاظ
كالوتين^(٥) الذي يبث الدم وتستمد منه العروق إلى سائر الجسد . . .

ثم العالم العلوي . . . وهو عالم السماء . . . جعل الله فيه شمساً
كالسراج يستضيء به أهل الأرض . . . كذلك جعلت الروح في الجسد
يستضيء بها الجسد . . . فلو غابت بالموت لأظلم الجسد كظلمة
الأرض إذا غابت عنها الشمس . . .

ثم جعل العقل بمنزلة القمر يستنير في فلك السماء . . . تارة
يزيد وتارة ينقص . . . فابتدأؤه صغير وهو هلال . . . كابتداء عقل
الصغير في صفره . . . ثم يزيد كزيادة القمر ليلة تمامه . . . ثم يبدو
بعودته للنقص . . . فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين . . . ثم
يعود في النقص في تركيبه وقوته . . .

-
- (١) الأرض الجزر : الأرض المجربة التي لا تنبت . . .
(٢) الأرض السبخة : ج . سباح . . . الأرض ذات النز والملح . . . غير صالحة
للزراعة . . .
(٣) تؤلف المياه في الكرة الأرضية ٧١٪ من حجمها . . .
(٤) سواق : لعله يقصد بها السواقي - الساقية . . . التي تمر بين الأراضي لترويتها
فتحمل من الأنهار ما ينتفع به الناس . . .
(٥) الوتين : شريان في القلب . . . رئيسي . . . يجري منه الدم إلى العروق في الجسد
كلها . . . إذا انقطع هذا الشريان توفي صاحبه على الأثر . . .

ثم جعل في السماء كواكب خمساً ٠٠ وهن الخمس الخُنُس «الجواري الكُنُس»^(١) ٠٠ وهي بمنزلة الحواس الخمس ٠٠ وهي: الذوق والشم واللمس والسمع والبصر^(٢) ٠٠

ثم جعل في عالم السماء عرشاً وكرسيّاً ٠٠ فالعرش أوجده ٠٠ وجعل وجهة قلوب عبادہ إليہ ٠٠ ومحل رفع الأيدي إليہ^(٣) ٠٠ لا محلاً لذاته ٠٠ ولا مجانساً لصفاته ٠٠ لأن الرحمن تعالى اسمه ٠ والاستواء نعمته وصفته متصلة بذاته ٠٠ والعرش خلق "من خلقه ٠ ولا متصل به ٠٠ ولا ملامس له ٠٠ ولا محمول عليه ٠٠ ولا مفتقر إليه ٠٠ وأما الكرسي ٠٠ فهو وعاء الأسرار ٠٠ أسرارہ ٠٠ وكنانة أنواره ٠٠ ومستودع ما في دائرة ٠٠ «وسع كرسيه السموات والأرض»^(٤) ٠٠ فجعل الصدر بمنزلة الكرسي ٠٠ لأن فيه تحصيل العلوم الصادرة بمنزلة الساحة على باب القلب والنفس ٠٠ يشرع منه بأبان إليهما ٠٠ فما صدر عن القلب من خير أو عن النفس من

(١) سورة التكوين - ١٦ ٠٠ الجوار الكُنُس ٠٠ جاء في الأصل حرف ي زيادة ٠٠ والكُنُس هي السجوم التي تظهر ليلاً وتجري في السماء ثم تَكُنُس أي تستتر في منيبيها تحت الأفق ٠٠ والخُنُس ٠٠ هم الكواكب السيارة ٠٠ فهي تخنُس نهاراً وتختفي عن الأبصار بالرغم من وجودها ٠٠٠

(٢) ان ذلك يخالف القاعدة العلمية وهي من حيث الترتيب ٠٠ الإنسان : ينظر و يسمع أو يسمع فينظر ٠٠ ثم يلمس ثم يشم ثم يتذوق ٠٠ إلا أن ابن عربي يعي أن الإنسان يتذوق في البدء خلاوة الإيمان ثم يشم الأنفاس الرحمانية ثم يلمس المراجعيد في نفسه ثم يسمع التبلي عليه ٠٠ ثم يبصر ما لا يراه أي كان ٠٠ وهكذا ٠٠٠

(٣) أي بسط الأيدي للنداء ٠٠٠

(٤) سورة البقرة - ٢٥٥ ٠٠٠

شر ٠٠ فهو محصل في الصدر ٠٠ وعنه يصدر إلى الجوارح ٠٠ وهو قوله تعالى « وحصل ما في الصدور^(١) » ٠٠٠

وجعل القلب بمنزلة العرش ٠٠ لأن عرشه في السماء معروف ٠ وعرشه في الأرض مسكون ٠٠ ولأن عرش القلوب أفضل من عرش السماء ٠٠ ولأن ذلك العرش لا يتبعه ولا يحله ولا يدركه ٠٠ وهذا عرش في كل حين ينظر إليه ٠٠ ويتجلى عليه ٠٠ وينزل من سماء كرمه إليه ٠٠ « ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن »^(٢) ٠٠٠

ولما جعل في عالم الآخرة ٠٠ جنة وناراً ٠٠ للنعيم وللعذاب ٠٠ هذه خزانة الخير ٠٠ وهذه خزانة الشر ٠٠ كذلك جعل الخير الذي هو مكان سويداء القلب^(٣) ٠٠ جعله جنة عبده المؤمن لأنه محل

(١) سورة العاديات - ١٠ ٠٠٠

(٢) قال ابن تيمية هو مذكور في الاسرائيليات وليس له اسناد معروف عن النبي ﷺ وقال في المقاصد تبعاً لشيخه في اللآلئ ليس له اسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه وسع قلبه الايمان بي ومحيتي ومعرفتي ٠٠ كأنه أشار بما في الاسرائيليات الى ما أخرجه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال : ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش ٠٠ فقال حزقيل سبحانك ما أعظمك يا رب ٠٠ فقال الله ان السموات والأرض ضعفن أن يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين ٠٠٠

وذكره في الأحياء بلفظ قال الله لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع ٠٠ قال العراقي في تخريجه لم أر أصلاً ٠٠ ووافقه الزركشي في الدرر تبعاً ٠٠ ثم قال العراقي وفي حديث أبي عتبة عند الطبراني بعد قوله : وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين ٠٠ وأحبها إليه لينها وارقها ٠٠

(٣) سويداء القلب - سواد القلب ٠٠ حيثة ومهيته ٠٠٠

المشاهدة والتجلي (١) .. والمناجاة والمنازلات ومنع الأنوار ...
وجعل النفس بمنزلة النار .. لأنها منبع الشر .. ومحل
الوسواس .. ورَبَعَ الشيطان ومحل الظلمة (٢) ...

ثم جعل اللوح والقلم نسخة كتاب الكون والتكوين .. وما كان
وما يكون إلى يوم الدين .. وجعل الملائكة تنسخ بما يؤمرون (٣) ..

(١) التجلي : مصدر تجلى .. أي انكشف وتوضح الشيء .. والتجلي عن السالكين
طريق الصوفية هو عبارة عن ظهور ذات الله تعالى وصفاته .. فهو التجلي
الشهودي وهو ظهور الوجود المسمى باسم النور .. وظهور الحق بصور الكلل
ويقول المكزوني : أن أقرب تشبيه للأمر هو تجلي الوجه في المرأة .. فانت ترى
نفسك في المرأة ومع ذلك فما يبدو لك في المرأة .. هو أنت .. وأيضاً لست
أنت .. وأنت موجود في المرأة دون حلول .. ودون اتحاد .. ودون انتقال ..
وإنما مجرد ظهور أو تجل .. ويمثل هذا يتجلى الله في المقامات المختلفة دون
أن يحل فيها أو يتحد بها أو ينتقل إليها .. فهو حيث كان ولا شيء معه ..
وهو ما زال على ما عليه كان دائماً تتجلى كسوره وأسراره في عالم المعينات كما
تظهر صورتك المتعددة في مرايا متعددة فتبدو في كل مرآة براوية خاصة ووجه
مختلف .. والحدود المشاهدة هي بسبب المرايا وموحياتها .. كل منها يعكس
جانباً ويجلو زاوية .. ولكن الأصل غير محدود ...
كما أن تجليات الله بلا عدد .. وبلا نهاية .. وبلا حصر .. والاحاطة بهذه
التجليات محال :
ويقول المكزوني :

أراني فيك موجوداً وعنمي أنت منفرد

(٢) رَّبَعَ الشيطان : أي بمثابة مكان خاص يتمكن منه بث وسوسه واغراءاته
للإنسان وتمحيضه للشر ..

(٣) من الملائكة التي تسخ وهم الكتبة الحافظون .. عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ .. قال الله عز وجل : إذا هم عبادي بسيئة فلا تكتبوها
عليه .. فإن عملها فاكتبوها سنية .. وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة
فإن عملها فاكتبوها عشر .. أخرجه مسلم بإسناده ..

بنسخه من معو واثبات •• وموت وحياة •• ونقص وزيادة ••
فكذلك اللسان بمنزلة القلم •• والصدر بمنزلة اللوح •• فما
نطق به اللسان •• رقمته الأذهان في السواح الصندور •• وما
أرخته^(١) إرادة القلب إلى الصدر عبر الصدر •• عبر عنه اللسان
كالترجمان •••

ثم جعل العواس رسل القلب •• يستنسخ ما حصل فيها ••
فالسمع رسول وهو جاسوسه •• والبصر رسول وهو حارسه ••
واللسان رسول وهو ترجمانه •••

ثم جعل في الانسان ما هو دلالة على الربوبية^(٢) •• وتصديق الرسالة
المحمدية •• وذلك الهيكل الانساني لما افتقر إلى مدبر وهو الروح •
وكان مدبره واحداً •• وكانت الروح غير مرئية ولا مكيفة ولا
متحيزة في شيء من الجسد •• ولا يتحرك شيء من الجسد إلا
بشعورها به •• أو إرادتها له •• لا يحس ولا يمس إلا بها •• وكان
ذلك كله دلالة على أن العوالم^(٣) لا بد لهم من مدبر ومحرك •• ويلزم
منه أن يكون واحداً عالماً بما يحدث في ملكه •• قادراً على حدوثه •
وانه غير مكيف ولا متمثل ولا مرئي ولا متيمز ولا متبعض^(٤) ••
ولا محسوس ولا ملموس ولا مقبوس^(٥) •• بل « ليس كمثله شيء »
وهو السميع العليم^(٦) » •••

-
- (١) أوحته — من أرخ — تاريخاً — حدد تاريخه ووقته •••
(٢) الربوبية : الله تعالى اتصافه بكونه رباً جل جلاله •••
(٣) العوالم : مصدر العالم •• الخلق كافة •• الكون بما فيه وعليه من مخلوقات ••
(٤) متبعض : من تبعض — تبعضاً •• تجزأ •• انقسم إلى أجزاء •••
(٥) مقبوس : من الاقتباس — مقتبس •• وما يعنيه ابن عربي — أي أنه من وحي
الخيال •••
(٦) سورة الشورى — ١١ •••

ولما كان رسوله إلى خلقه اثنين .. ظاهر وباطن .. فرسوله
الظاهر محمد رسول الله ﷺ .. ورسوله الباطن جبريل يأتيه بالوحي
بين قومه ولا يحسونه ولا يعرفونه (١) .. فلذلك كان لمدير هذا
الهيكل الانساني وهو الروح .. رسولان باطن وظاهر .. فالرسول
الباطن هي الارادة .. بمنزلة جبريل يوحى إلى اللسان .. واللسان
يعبر عن الارادة .. وهو بمنزلة سيدنا محمد ﷺ ..

ثم لما جعل فيك دلالة على صحة نبوته .. وصدق رسالته جعل

(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ..
ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب .. شديد سواد الشعر ..
لا يرى عليه أثر السفر .. ولا يعرفه أحد منا .. حتى جلس الى النبي
فاستند ركبتيه الى ركبتيه .. ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني
عن الإسلام .. فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن
استطعت إليه سبيلاً .. قال : صدقت .. فعجبنا له يسأله ويصدقه !! .. قال :
فاخبرني عن الإيمان .. قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر .. وتؤمن بالقدر خيره وشره .. قال : صدقت .. قال : فاخبرني عن
الإحسان .. قال : أن تعبد الله كأنك تراه .. فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..
قال : فاخبرني عن الساعة .. قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .. قال :
فاخبرني عن أماراتها .. قال : أن تلد الأمة رببتها .. وأن ترى الحفاة العراة
العالة رحاء الشاء .. يتطاوولون في البنيان .. ثم انطلق .. فلبثت ملياً ..
ثم قال : يا عمر أتدري من السائل .. ؟؟ قلت : الله ورسوله أعلم .. قال :
فانه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ...
رواه مسلم برقم (٨) وأخرجه الترمذي (٢٦١٣) وأبو داود (٤٦٩٥) ..
والنسائي ٩٧/٨ ...

فيك أيضاً دلالة على ما جاء به من تحقيق شريعته .. واتباع سنته ..

فكان أصل الأيدي خمسة أشياء .. كل منها خمس :

فالأصل الأول : ما بني عليه : قال رسول الله ﷺ : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله .. وأن محمداً رسول الله .. وإقام الصلاة .. وإيتاء الزكاة .. وصوم رمضان .. والحج إلى بيت الله الحرام (١) ...

والأصل الثاني : وكانت الصلاة المفترضة خمساً ...

والأصل الثالث : الزكاة المفروضة في النصاب (٢) .. خمس ..

والأصل الرابع : « محمد رسول الله والسذي معه (٣) » .. أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .. فهم خمسة برسول الله ﷺ ...

والأصل الخامس : أهل البيت خمسة .. محمد رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين (٤) ...

(١) أخرجه مسلم والبخاري والترمذي والنسائي ...

(٢) النصاب : أي الأصل ...

(٣) سورة الفتح - ٢٩ .. وفي القرآن الكريم أيضاً :

« لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لهم الغرات وأولئكَ هم المفلحون » ...

(٤) أهل البيت : آل البيت : علمٌ على آل محمد ﷺ .

في قول الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه .. هم أهل دينه كلهم .. واتباعه إلى يوم القيامة .. وبه قال سفيان الثوري :

فلما كان أركان الدين .. إقامة أركان شريعته .. ومحبة
صحابته .. ومودة قرابته .. جعل في أعضائك منها دلالة على ذلك
خمس .. فالخمس التي بني عليها الإسلام هي بمنزلة الحواس
الخمس فيك .. السمع والبصر واللمس والذوق والشم .. لأنك
تجد بهذه الحواس مذاق كل شيء .. ومعرفة كل شيء .. وكذلك
تجد باقامة تلك الأركان الخمسة ذوق كل شيء .. وإدراك العرفان
ومعرفة الرحمن .. وعلم الايقان ...

= وإليه مال مالك ..

وهو كذلك عند الحنابلة ..

وأكدته النووي أيضاً ..

وهو عند الحنابلة ..

ودهب إليه نشوان الحميري إمام اللغة ..

وقال الأزهري .. هذا القول أقرب الأقوال إلى الصواب ..

ومن قول زيد بن أرقم الصحابي رضي الله عنه .. هم أهل وعشيرته النبي

حرمت عليهم الصدقة .. وهم آل علي وآل جعفر وآل العباس ..

وعند المالكية : هم بنو هاشم .. وهم بنو قصي .. وهم بنو غالب بن فهر ..

عند الحنفية والزيدية والهادية .. هم بني هاشم ..

عند الشافعية : هم بني هاشم .. وبني عبد المطلب .. وهو نص الشافعي

والصحيح في المذهب ..

وقد اختاره الجمهور كما قال ابن حجر .. وهم مؤمنو بني هاشم وبني

عبد المطلب .. وهم المنسوبون إليه .. وهم أولاد فاطمة رضي الله عنها ونسلهم

أبدأ ..

وعند الحنابلة .. هم بنو هاشم وبني عبد المطلب ..

وفي قول الجمهور .. أهل البيت .. هم فاطمة وعلي والحسن والحسين

وأولادهم ..

وفي قول بعض العلماء .. هم قریش كلها ..

فحاسة البصر تدعوك إلى إقامة أركان الصلاة .. قال ﷺ :
« جعلت قرّة عيني في الصلاة ^(١) » ...
وحاسة اللمس تدعوك لأداء الزكاة .. قال الله تعالى :
« خذ من أموالهم صدقة ^(٢) » ...
وحاسة الذوق تدعوك إلى ترك ذوق الطعام .. لإقامة ركن
الصيام ^(٣) ...
وحاسة السمع تدعوك إلى استماع الأذان .. « وأذن في الناس
بالحج ^(٤) » ...
وحاسة الشم تدعوك إلى استنشاق أنفاس التوحيد ^(٥) ..

-
- (١) أخرجه النسائي ..
(٢) سورة التوبة - ١٠٣ ..
(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له .. إلا الصيام هو لي .. وأنا أجزي به
فوالذي نفسي بيده .. لخلفة فم الصائم .. أطيب عند الله من ريح المسك ..
باب فضل الصيام ج ٥ ص ١٣٢ صحيح مسلم ...
(٤) سورة الحج - ٢٧ ...
(٥) التوحيد . عند أهل الأسرار مراتب ودرجات .. أدناها التوحيد اللساني بقوله :
لا إله إلا الله ... ثم التوحيد البرهاني .. وذلك بالتفكر والتأمل والافتناع ..
ثم التوحيد حياة وعملاً وسلوكاً .. وذلك بأن تكون حياة العارف بالله مطابقة
لأمر الله وميندولة كلها لله فكانما هو وإرادة ربه شيء واحد .. وذروة التوحيد
هو التوحيد الشهودي .. وذلك يتم بفناء العارف بين يدي ربه فلا يعود يرى
لنفسه وجوداً ولا جسداً ولا كيانه فلا يشهد إلا نوراً أينما توجه ببصره ..
وذلك لا يكون إلا ببلوغ الحضرة وكشف الحجاب وهذه مرتبة قاب قوسين أو
أدنى التي بلغها الرسول ﷺ في معراج ..
وأما استنشاق الأنفاس .. انظر الصفحة رقم (١٦) حاشية رقم (٢) من هذا
الكتاب ...

« إنني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين^(١) » . . .

وجعل أصابعك الخمس في عينيك بمنزلة : محمد ﷺ والذين معه . . . وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . . . وإن آدم عليه السلام لما خلق نور سيدنا محمد ﷺ في جبينه . . . كانت الملائكة تستقبله وتسلم على نور محمد ﷺ . . . وآدم عليه السلام لم ير ، . . . فقال : يا رب أحب أن أنظر إلى نور ولدي محمد ﷺ . . . فحوله إلى عضو من أعضائي لأراه . . . فحوله إلى سبائته في يده اليمنى . . . فنظر إليه يتلأل في مسبحته . . . فرفعها فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . . فلذلك سميت المسبحة . . . فقال : يا رب هل بقي في صليبي من هذا النور شيء . . . ؟ قال : نعم . . . نور أصحابه . . . وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . . . فجعل نور علي في إبهامه . . . ونور أبو بكر في الوسطى . . . ونور عمر في البنصر . . . ونور عثمان في الخنصر . . . وقيل : إنما جعلت في يدك لتقبض برؤوسهن على حب هؤلاء الخمسة . . . ولا تفرق بينهم وبين محمد ﷺ . . . فان الله جمع بينهم بقوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه^(٢) » . . .

ثم جعل أصابعك الخمسة في اليد اليمنى مذكرة بالخمسة أشياء وهم أهل البيت^(٣) . . . الذين أذهب الله عنهم الرجس بقوله : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت^(٤) » . . . قال رسول

(١) قال العراقي لم أجد له أصل . . . حديث أي لأجد نفسي من قبل اليمين . . .

انظر كشف الحفاء ومزيل الالناس الجزء الأول ص ٢٥١ . . . رقم الحديث ٦٥٩ .

(٢) سورة الفتح - ص ٢٩ وانظر صفحة رقم ٧٢ حاشية رقم (٢) من هذا الكتاب .

(٣) انظر . صفحة رقم (٧٢) حاشية رقم (٤) من هذا الكتاب . . .

(٤) سورة الأحزاب - ٣٣ . . . والرجس : النجس . . . وقيل الإثم . . . أي الأعمال

التي تؤدي إلى العذاب والشك والعقاب والفضة . . . ويقال أيضاً : مرحوسة

أي في أمرها اختلاط والناس . . .

الله ﷺ : أنزلت هذه الآية فينا أهل البيت .. أنا وعلي وفاطمة
والحسن والحسين^(١) ...

ثم جعل أصابع قدميك الخمسة مشيرة لك ومذكرة بالخمس
صلوات التي افترضها الله عليك .. فتقوم بها على قدميك لأنها
خدمة الله تعالى في الأرض .. والخدمة إنما تكون من القدمين^(٢) ..
فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلوات الخمس .. وأصابع
قدمك اليسرى تذكر بما يجب من نصاب الزكاة وهي خمسة دراهم
فالزكاة مقرونة بالصلاة .. فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى
الصلاة والزكاة ...

ثم جعل فيك ما يدل على الموت والبعث .. وما يدل على نعيم
القبر وعذابه .. وهو النوم .. وما يراه النائم من منام سيء
فيتعذب به .. فيصبح بالنوم كالميت .. فاقد الحس فلا سمع له ..
ولا بصر له .. ولا إدراك له .. ثم جعل له سمعاً وبصراً وإدراكاً

(١) الحديث الشريف : عن أم سلمة رضي الله عنها .. قالت : ان هذه الآية نزلت
في بيتي : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً »
قالت : وأنا جالسة عند الباب .. فقلت : يا رسول الله أأنت من أهل البيت ؟؟
فقال : إنك في خير .. أنت من أزواج رسول الله ﷺ : قالت : وفي البيت رسول
الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين .. فجللهم بكساء .. وقال : اللهم هؤلاء
أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهراً ..

هذه الرواية ذكرها ابن كثير في التفسير ونسبها إلى جرير وهو حديث حسن ..
ورواها الترمذي في المتأنيب رقم ٣٨٧٠ حديث حسن .. وقال الترمذي : هو
أحسن شيء روي في هذا الباب ...

(٢) انظر - - صفحة رقم (١٢) وصفحة رقم (١٠) .. من هذا الكتاب .. رواية
ابن عربي عن خاله أبو مسلم الخولاني ...

فيسمع ويبصر .. بسمع وبصر عن سمعه وبصره .. ويرى نفسه
تذهب حيث تشاء ويأكل ويشرب .. فهي بمنزلة ما يراه الميت في
قبره من النعيم والعذاب في مدة البرزخ^(١) بين الموت والبعث .. ثم
يوقظك الله من نومك لا عن مرادك ولا عن اختيارك .. فلو أردت
أن لا تنتبه من ذلك .. فأنت تطيق أن لا تبعث .. وهذا تكذيب من
أنكر البعث بعد الموت وجهله .. وههم : الزنادقة — والدهريّة —
والفلاسفة — ورد على من أنكر عذاب القبر ونيمة ومسألته وهم :
— المعتزلة — ..

ثم اعلم أن الله تعالى خلق خلقه على ثلاثة أصناف : قوله تعالى :
« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه^(٢) » ..
كالحيات والديدان « ومنهم من يمشي على رجلين^(٣) » كالطير والادمي
« ومنهم من يمشي على أربع^(٤) » كالذباب ..

فمنهم صنف كالساجد .. وصنف كالراكع .. وصنف كالقائم
فالقائم كالأشجار والجدران لا يطيقون ركوعاً .. والراكع كالذباب
لا يطيقون سجوداً ولا قياماً .. والساجد كالحشرات لا يطيقون
رفعاً .. وكلهم مخلوقون لطاعته وتقديسه وتنزيهه .. « وإن من
شيء إلا يسبح بحمده^(٥) » .. فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه

(١) البرزخ : من برزخ : أي هو الحاجز بين شيئين .. أو ما بين ساعة الموت إلى
ساعة البعث ..

(٢) (٤٣ و ٤٤) سورة النور — ٤٥ ..

(٣) (٥) سورة الإسراء — ٤٤ ..

وطاعتهم ٠٠ وبسط لك في خلقه إن شئت أن تعبدته قائماً وراكعاً
وساجداً ٠٠ فعلت ليجمع للأفضيلة جميع خلقه ٠٠ فكذلك فرض
عليك الصلاة ٠٠ وجعلها تشتمل على سائر عبادته وخلقها ٠٠ فكذلك
فضيلة القوم والركع والسجد ٠٠ وأنت المقصود من كل الوجود ٠٠
وأنت خاصة العبيد لمراد المعبود ٠٠ فهذا معنى قولنا متقدماً خلق الله
آدم عليه السلام على صورة اسم محمد ﷺ ٠٠ وخلق الكون على
هيئة رسمه ٠٠٠

واعلم أن الملائكة الأعلى مسخرون في نفع شجرة الكون ٠٠
مستعملون لمصالحها ٠٠ قائمون بحقوقها ٠٠ لما فيها من خاصية هذا
الفصل المحمدي والتور الأحمدي ٠٠ فأول ما أنسلخ نهار الوجود
من ظلمة ليل المدم ٠٠ شعشت أنوار الشمس المحمدية في أفق
جبين آدم عليه السلام فخرت الملائكة سجداً ٠٠ وقالوا : مليك العرش
محمد أبداً ٠٠ فلما أمروا بالسجود فسجدوا ٠٠ وخصوا بالشهود
فشهدوا ٠٠ وقيل لهم شكران هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم
المجاهدة في خدمة شجرة هو أصلها ٠٠ ودولة هو عقدها وحلها ٠٠٠

فليكن منكم السفارة يسهون بالصحف المطهرة ٠٠٠

وليكن منكم البررة يطوفون حول حمى هذه الشجرة ٠٠٠

وليكن منكم الكتاب يقومون على أعتاب من قد تاب ٠٠٠

وليكن منكم الحملة يحملون لكل عامل عمله ٠٠٠

وليكن منكم من يغسل وجوههم من غبار الأوزار بماء الاستغفار
ويستغفرون لمن في الأرض ٠٠٠

وليكن منكم الحفظة يحفظون عليهم أعمالهم .. ويحسون
ما عليهم وما لهم ...

وليكن منكم من يسعى في أرزاقهم ليتفرغوا لطاعة رازقهم ...

فقوم يرسلون الرياح ...

وقوم يسرون السحاب ...

وقوم يسجرون البحار ...

وقوم ينزلون ماء الأمطار ...

وقوم يحفظون الأقطار ...

وقوم يغيثون الليل ...

وقوم يسبحون النهار ...

وقوم معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات ...

وقوم يرقمون الآفات ...

وقوم يزخرفون الجنان ...

وقوم يسمرون النيران ...

فلما تمهدت الدار .. ودار كأس إرادته فاستدار .. فأول
ما استحضر إلى ذلك المحضر إبليس .. وهو يرفل في ثياب التسبيح
والتقديس لكنها محشوة بأدغال التدليس ...

فلما حضر إلى ذلك المحضر .. وشاهد جمال ذلك المنظر ..
ووقف على عرفات المعرفة .. فأنكر وأصر على العصيان .. وأضمر
واستصغر حق هذا المأم والطين .. واستحقر ...

فلما قيل له اسجد في صفاء كاساتك فأبى واستكبر فتجاوز

الأكياس . . وفاتته صحة الأكياس^(١) . . وبقي في ظلمة الغم
والوسواس . . وفتن كياس علمه وعمله . . فإذا هي فلّوس^(٢)
أكياس . . فبقي منتظاً في مفازة القطيعة . . قاطعاً للشيمة
والشريعة . . كلما تزايد تربيته وتعاظم عليه ضربه . . يستغيث
بلسان : « ولأضلّهم ولأمنّهم ولأمرّهم^(٣) » . . والقدر يقول :
« لاكتبن لهم منشور الأمان » إن عبادي ليس لك عليهم سلطان^(٤) .
فيسأل المالك الانظار . . فانظر ليكون قائد الكفار إلى النار . .
عكازه يعتمد عليها ذوو الذنوب والأوزار . . فإذا زلّ أحدهم قال :
« إنما استزلهم الشيطان^(٥) » . . وإن عمل قال : « هذا من عمل
الشيطان^(٦) » . . .

فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية . . هذا يتوك ما أمر به .
وذاك يفعل ما نهى عنه . . جمع بينهما القدر إذ قدّر . . لأنه
تعالى أمر وأراد خلاف ما أمر . . فما وهبه الأمر سلّبه الإرادة . . .

(١) الأكياس : مصدر الكيس - وهو صاحب العقل والفهم والأدب وحسن الثاني
في الأمور . . .

(٢) فلّوس : يقال فلّوس السمك أي ما عليه من قشر . . وإليس كان يملك
القشور من الذهب والإدراك هذا ما يعنيه ابن عربي . . .

(٣) سورة النساء - ١١٩ . . .

(٤) سورة الحجر - ٤٢ . . .

(٥) سورة آل عمران - ١٥٥ . . .

(٦) سورة القصص - ١٥ . . .

فلما تعدياها حكم لا بليس أن لا يتعداها ٠٠ وطَنَّبَ^(١) الشقي
فيها خيامه ٠٠ وجعل في عَرَصَتِهَا^(٢) مقامه ٠٠٠

وأما آدم فانه حن إلى دار المقامة ٠٠ وتذكر لياليه وأيامه ٠٠
فماد على نفسه بالملامة ٠٠ فنادى بين ندماء الندامة ٠٠ « ربنا
ظلمنا أنفسنا^(٣) » ٠٠ فتلقى بشير قربته بتفريج كربته ٠٠
« فتلقى آدم من ربه كلمات^(٤) » ٠٠٠

وأما الشقي ابليس ٠٠ فانطلقت إليه خيول اللعنة مطلقة
الأعنة تبشره بطرده وبعده ٠٠ فاخرج منها مأموراً : « قلنا اهبطوا
منها^(٥) » ٠٠٠

فتَقَلَّقَلْ^(٦) آدم قلقاً ٠٠ وكاد أن يتمزق حرقاً ٠٠ وقال :
سيدي جرعت مرارة الصدود في الصعود ٠٠ فأعذني من حرارة
القنوط في الهبوط ٠٠ ف قيل له : لا بأس عليك حتى تصل إلى ممرق
فريقين ٠٠ « فريق في الجنة وفريق في السعير^(٧) » ٠٠٠
فأخذ آدم ذات اليمين ٠٠٠

وأخذ ابليس ذات الشمال ٠٠ فكان أصلاً لأصحاب الشمال ٠٠

(١) طَنَّبَ : من تَطَنَّبَ : الخيمة ٠٠ ربطها بالاطاب ٠٠ وهي الجبال ٠٠ والمكان
أقام به ٠٠٠

(٢) عَرَصَةٌ : ج عَرَصات وعِراض وأعراس ٠٠ ساحة الدار ٠٠ أو بقعة واسعة
بين الدور ليس فيها بناء ٠٠٠

(٣) سورة الأعراف — ٢٣ ٠٠٠

(٤) سورة البقرة — ٣٧ ٠٠٠

(٥) سورة البقرة — ٢٨ ٠٠٠

(٦) فَتَقَلَّقَلْ : فَتَقَلَّقَلَتْ وَقَلَّقَلَا ٠٠ وَقَلَّقَلَا — الحزن — دعة ٠٠٠

(٧) سورة الشورى — ٤٢ ٠٠٠

لكنهما لما اصطحبا واجتمعا ٠٠ فكان للصعبة أثر ٠٠ فكان محله من آدم وسيره معه مما يلي شماله ٠٠ فأثر ذلك على ما كان في أصله من الصفح الأيسر ٠٠ فبرحوا في ظل ظلمته مخالفته ٠٠ فكفروا بقرينهم منه ومحاذاتهم له (١) ٠٠ وبقي من كان في الصفح الأيمن ٠٠ في نور معرفة آدم فسلموا من ظلمة ابليس لبعدهم عنه ٠٠ وأثر عليهم جوار من كفر واستظل بظلمة ضلاله ٠٠ وهم أهل الصفح الأيسر ٠٠ وأثر ذلك في صفاتهم ٠٠ وسلمت لهم أنوار ذواتهم ومعارفهم ٠٠ فما يرتكبه أهل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار ٠ هو من أثر ذلك الجوار ٠٠ وأشعر ذلك العذار (٢) ٠٠٠

واعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخر ٠٠ وسبب آخر ٠٠ وهو، أنه لما أمر الله تعالى يقبض القبضة التي خلق منها آدم عليه السلام فهبط ملك الموت لذلك ٠٠ وكان ابليس يومئذ في الأرض قد استخلفه الله تعالى فيها مع جملة من الملائكة ٠٠ وقد مكث زماناً طويلاً يعبد الله ٠٠ فقبض ملك الموت القبضة من سائر الأرض ٠٠ وكان ابليس يطأها بقدمه ٠٠ فلما عجت طينة آدم ٠٠ وصورت صورته من تلك الطينة جاء خلق النفس من التراب الذي وطئه ابليس من قدمه

(١) بالعديث الشريف : عن ابن مسعود رضي الله عنه ٠٠ قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إن للشيطان لمة بابن آدم ٠٠ وللملك لمة ٠٠ فاما لمة الشيطان ٠٠ فايحاذ بالشر وتكذيب بالحق ٠٠ واما لمة الملك ٠٠ فايحاذ بالخير وتصديق بالحق ٠٠ فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ٠٠ ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » ٠٠ الآية — البقرة — ٢٦٨ ٠٠ أخرجه الترمذي ٠٠ وقال : حديث حسن غريب ٠٠ وفي بعض النسخ — حسن صحيح غريب ٠٠٠

(٢) العذار : ج عذرة ٠٠ هو خليع المذار أي : شل ولم يستحيي ٠٠ لوى مذاره ٠ عنه ٠٠ أي : عصاه ٠٠٠

وخلق القلب من التراب الذي لم يطأه ابليس بقدمه .. فاكتملت النفس ما فيها من الخبث والأوصاف المذمومة من ملامسة وطأة قدم ابليس .. ومن هنا جعلت النفس مأوى الشهوات .. وعيشه وسلطانه عليه لوطئه لها .. ومن هنا جعل ابليس التكبر على آدم حيث وحدها من تراب قدمه ونظر إلى جوهر عتصره .. وهو النار . فادعى الفخار حينئذ ومال إلى الاستكبار .. وهذا معنى قول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ^(١) » . التي خلقت من تراب خطواته ...

واعلم أنه لما نشأت شجرة الكون .. أنبتت أغصاناً ثلاثة .. غصن ذات اليمين .. وغصن ذات الشمال .. وغصن نبت مستقيماً قوياً .. وهو غصن السابقين فكانت روحانية محمد ﷺ قائمة بالثلاثة أغصان متعلقة بها سارية فيها .. ولكل غصن نصيب على مقدار قابليته لتلك الروحانية .. قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ^(٢) » ...

فكان حظ غصن أصحاب اليمين روحانية الهداية .. والمتابعة له .. والعمل بسنته وشريعته .. لقوله تعالى : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ^(٣) ...

(١) سورة البور - ٢١ .. أنها لصورة مستكرة أن يعطوا المؤمنون خلف خطوات الشيطان .. وهم أجدر الناس أن ينفروا منه وأن يسلكوا طريق الحق .. ولا يتبعوا خطوات الشيطان في طريقه المشؤوم .. والإنسان معرض للزلمات .. وعرضة للتلفوت إلا أن رحمة الله وفضله يدركانه حين يتجه إلى ربه يسير على نهجه واحكامه .. وما الشيطان ليأمر إلا بالمحشاء والمنكر والفساد ...

(٢) سورة الأتبياء - ١٠٧ ...

(٣) سورة الأعراف - ١٥٧ ...

وكان حظ السابقين روحانية القربى منه والزلفى^(١) لديه والصحبة له . . « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مع النبيين^(٢) » . .

وكان حظ أصحاب الشمال من روحانية حمايتهم في الدنيا . . وأمنهم من العقوبة المعجلة . . « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم^(٣) » .

فلما آن أوان ظهور جسمانيته صلى الله عليه وسلم إلى الوجود . نبت غصن وجوده مستقيماً قوياً . . فلما ثبت أصله ونبت فرعاه ناداه متولي سياسته . . « فاستقم كما أمرت^(٤) » . . فكانت صفته صلى الله عليه وسلم الاستقامة . . ومقامه دار المقامة . . فلما استقام رحل عن الكونين . . ولما أقام نقل من مقام إلى مقام حتى استقر به المنزل فأقام . . .

فالمقام الأول مقام الوجود في الدنيا . . وهو قوله تعالى :
« يا أيها المدثر . . قم فانذر^(٥) » . . .

والمقام الثاني المقام المحمود في الآخرة . . وهو قوله تعالى :
« عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً^(٦) » . . .

والمقام الثالث مقام الخلود في الجنة . . وهو قوله تعالى :
« الذي أحلنا دار المقامة من فضله^(٧) » . . .

(١) الزلفى . . هي المنزلة والدرجة المقربة . . .

(٢) سورة النساء - ٦٩ . . .

(٣) سورة الأنفال - ٣٣ . . .

(٤) سورة هود - ١١٢ . . .

(٥) سورة المدثر - ١ و ٢ . . .

(٦) سورة الإبراهيم - ٧٩ . . .

(٧) سورة فاطر - ٣٥ . . .

والمقام الرابع المقام المشهود .. مقام قاب قوسين أو أدنى
لرؤية المعبود : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ^(١) » ...

فهو المخصوص بالدنو والعلو والشهود .. إذ كان هو المقصود
من كل الوجود .. لأن الوجود لما كان شجرة كان هو ثمرتها ..
وكان هو جوهرتها .. فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحببة التي ينبت
بها أصلها .. فإذا غرست تلك الحببة .. وغذيت وربيت .. حتى
نبتت وقرعت وأورقت واهتزت وأثمرت .. فإذا نظرت تلك
الشجرة .. رأيته في تلك الحببة التي نبتت منها هذه الشجرة ..
فالحببة هي البداية .. حتى أظهرت صورة الشجرة .. والشجرة في
النهاية بها ظهرت .. فأظهرت صورة تلك الحببة .. فكذلك كان عليه السلام في
المعنى في السابق .. واختفاؤه وظهوره في الصورة في اللاحق
واشتهاره .. وهو معنى قوله عليه السلام : « كنت نبياً وآدم بين الماء
والطين ^(٢) » فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة .. وهو مظهر صورته
عليه السلام .. فما برح ^(٣) بلسان القدم مذكوراً .. وفي طي العدم منشوراً ..

وما مثال ذلك إلا مثال تاجر عمد إلى فراشه وبزه فطواه في خزانة
ملكه ووضع أثواباً بعضها فوق بعض .. فأول ثوب دمه ووطاه ..
هو آخر ثوب أظهره وأبداه .. كذلك سيدنا محمد عليه السلام كان أولاً
لكل وجوداً .. وآخرهم ظهوراً .. وخروجاً ...

فلما تولى مقصاراً لقدر سياسة هذا الغصن النبوي .. فغذاه

(١) سورة النجم - ٨ و ٩ ...

(٢) لم نجد حديثاً بهذا اللفظ .. انظر ص رقم (٦١) حاشية رقم (٢) من هذا
الكتاب ...

(٣) ما برح - ما زال ...

بلباب بره وسقاه بكأس محبته .. وحماه في قلعة^(١) حماه .. ورباه
حتى اهتزت رباه .. وتفرعت نضجات شذاه .. فكأنت تلك النفحات
غذاء أرواح العارفين .. ونور بصائر المؤمنين .. وريحانة حضرة
المحبين .. وعَرْصة مجمع العاصين .. وغياث مستسقي المذنبين ..
فان هب من تلقاء أصحاب الشمال سموم خطيئة أو عاصف معصية ..
فأمال غصناً قد أثبتته الله نباتاً .. فمال به إلى عمل من أعمال أهل
الشمال تلاعب بفرعه .. فآثر ذلك في خضرة نضارة زرعه .. لكن
أصله في أرض الإيمان ثابت .. فما يضره ما حدث في فرعه النابت ..
إذا تداركه صاحب سيئاته فحماه من ذلك الهوى .. وأماله إلى طريق
الاستقامة بعد الطوى .. وسقاه بمساء الاستغفار حتى ارتوى ..
فهناك يقبل منه ما نوى .. ويورق غصن إيمانه بعدما زوي ..
ويقوم خطيب الاعتذار عنه .. وهو التصديق فيما نقل وروى ..
ويقسم .. « والنجم إذا هوى .. ما ضل صاحبكم وما غوى^(٢) » ..

ثم اعلم أن الغصن المحمدي قد حصل من روحانية ما هوى مادة
الأرواح .. ومن جسمانية ما هو مادة الأشباح .. فأما مادة روحانيته
جودة في سر قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض^(٣) » ..
إلى قوله تعالى « مصباح » يعني مصباح نور نبينا محمد ﷺ .. فقد
جعله مصباح مشكاة الوجود .. فشبه الكون بالمشكاة .. وسيدنا
محمداً ﷺ بالزجاجة .. والنور الذي هو قلبه بالمصباح .. فأشرق
نور باطنه على ظاهره .. كاشراق المصباح في الزجاجة .. فصار
نور المصباح نوراً .. والزجاجة نوراً لصفائها .. فصار نوراً ..

(١) القلعة : الجرة العظيمة الصخمة من الفخار ...

(٢) سورة النجم - ١ و ٢ ...

(٣) سورة النور - ٣٥ ...

وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه . . . واتباعه
له . . . والدخول في شيعته . . . والعمل بشريعته . . . وهو معنى قوله
تعالى : « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ^(١) » . . . فشبه الله تعالى حبيبه
محمدًا ﷺ بالماء النازل من السماء بقدر . . . لأن الماء حياة كل شيء .
وكذلك كان نوره ﷺ حياة كل قلب . . . ووجوده رحمة لكل شيء .

ثم بين انتفاع الناس بنوره . . . وما نالهم من بركته ﷺ
بالأودية فجعل القلوب أودية منها الكبير والصغير . . . والجليل
والحقير . . . فاحتمل كل قلب على قدر وسعه ومقدار مادته من الماء .
وتطرق السيل إليه . . . « فذ علم كل أناس مشربهم ^(٢) » . . .

ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابي المحتمل على وجه الماء الصافي .
وهو مرباه الظاهر من الأكل والشرب والنكاح . . . ومشاركة الناس
في أفعالهم وأحوالهم فذلك كله يذهب ويتلاشى . . . « وأما ما يتفجع
الناس ^(٣) » . من نيوته ورسالته وحكمته وعلمه ومعرفته وشفاعته .
« فيمكث في الأرض ^(٤) » . . .

واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك . . . أنه خلق من لطيف
وكثيف ليكون كامل الوصف كامل الخلق . . . خلقه الله من ضدين . . .
جسماني وروحاني . . .

فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر . . . ومقاييسات الصور .
فجعل له قوة يلاقي بها البشر . . . فيمددهم بمادة بشريته . . . فيكون
معهم بهم . . . فيكون هم لهم . . . « إنما أنا بشر مثلكم ^(٥) » . . .

(١) سورة البقرة - ٦٠ . . .

(٢) سورة المؤمنون - ١٨ . . .

(٣) سورة الرعد - ١٧ . . .

(٤) سورة الكهف - ١١٠ . . .

يجانسهم ويشاكلهم .. لأنه لو برز إليهم في هيئة روحانية ملكية نورانية لما أطاقوا مقابله .. وما استطاعوا مقاومتها .. فلذلك من الله تعالى بقوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ^(١) » ...

ثم جعل له قوة روحانية يقابل بها عالم الروحانيين .. وملكوت العلويين .. ليكون تام البركة .. تام الرحمة .. والروحانيون يشهدون جسمانيته ...

ثم جعل له وصف ثالث خاص خارج عن هذين الوصفين .. وهو أنه جعل فيه وصف رباني وسر إلهي .. يثبت به عند تجلي صفات الربوبية .. ويطلق به مشاهدة الحضرة الإلهية .. ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية .. ويسمع به خطاب الاشارات القدسية .. وينشق به عطر النفحات الرحمانية .. ويعرج به إلى المقامات العذبة البهية .. وهو معنى سر قوله ﷺ : « لست كأحد منكم ^(٢) » .. وقوله ﷺ : « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي سبحانه ^(٣) » .. فهذا المقام ليس مختص به ملك مقرب ولا نبي مرسل .. كأس لم يتناوله سواه .. وعروس ما جليت إلا عليه .. وهذا هو المقام المخصوص به .. وهو أحد المقامات الأربعة التي ذكرناها .. وأما الثلاثة الباقية فانها كرامات لسائر الخلق ليتناول كل منهم ما قسم له من النصيب ...

فأما المقام المحمود .. فمخصوص بعالم الصورة وهو عالم الملك في الدنيا .. فيتناولهم وجود طمأنينة وبركة نبوته ورسالته .. « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ^(٤) » .. أقيم على منبر : « يا أيها

(١) سورة التوبة - ١٢٨ ...

(٢) و(٣) ليس بعديث .. ولم نجد له أصل في الأحاديث .. بل هو كلام يذكره الصوفيون في رسالة القشيري ...

(٤) سورة الأنبياء - ١٠٧ ...

الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك^(١)» .. فهو في الدعوة مجيبهم ..
وفي النصيحة خطيبهم .. ومن الزلزلة طيبهم .. ومن المحبة
نصيبتهم .. فهذا مخصوص بأهل الدنيا ...

وأما المقام الثاني .. فهو المقام المحمود في القيامة .. وذلك
نصيب الملائكة الأعلى فينالهم من بركة مقامه .. ومشاهدة جمائمه ..
وسماع كلامه .. « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً^(٢) » .. يؤذن
له في الخطاب .. فيقوم خطيباً .. والملائكة صفافاً .. والخلائق
وقوفاً .. فيفتتح خطبته بالشفاعة لأمته .. ينادي « أمتي - أمتي »
فيجيبه : « رحمتي - رحمتي » ...

وأما المقام الثالث .. فالشهود .. وذلك في دار الخلود ..
لينال أهل الجنة منه نصيبهم .. وتتمتع بمشاهدته الحور ..
وتتشرف بحلولة القصور .. ويقدم لقدمه السرور .. وتزداد
الجنة نوراً .. وترفع بقدومه الحجب .. وتزول الشرور ...

والمقام الرابع : هو المقام الذي خص به ﷺ .. وهو مقام
رؤية المعبود جلاً زعلاً .. وهو مقام قاب قوسين أو أدنى .. وذلك
أنه لما كان ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسره .. ومعنى
كلمة « كُنْ » ولم تكن الشجرة مراده لذاتها .. وإنما كانت مرادة
لثمرتها .. فهي محمية محروسة لاجتناء ثمرتها .. واستجلاء
زهرتها ...

فلما كان المراد عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها .. وزفها
إلى حضرة قربه .. والطواف بها على ندمان حضرته .. قيل له :

(١) سورة المائدة - ٦٧ ...

(٢) سورة النبا - ٣٨ ...

يا يتيم أبي طالب قم فان لك طالب قد ادخر لك مطالب .. فارسل
إليه أخص خدام الملك ...

فلما ورد عليه قادماً وافاه على فراشه نائماً .

فقال له : يا جبريل إلى أي ٠٠٩٩٠٠

فقال : يا محمد ارتفع الأيئن من البين .. فاني لا أعرف في
هذه النبوة أنني .. لكنني رسول القدم أرسلت إليك من جملة الخدم .
« وما نتنزل إلا بأمر من ربك » (١) ...

قال : يا جبريل فما الذي مراد مني ٠٠٩٩٠٠

قال : أنت مراد الارادة مقصود المشيئة .. فالكل مراد لأجلك .
وأنت مراد لأجله .. وأنت مختار الكون .. أنت صفوة كأس الحب
أنت درة هذه الصدفه .. أنت ثمرة هذه الشجرة .. أنت
شمس المعارف .. أنت بدر اللطائف .. ما مهدت الدار إلا
لرفعة محللك .. ما هيا هذا الجمال إلا لوصلك .. ما روق كأس
المحبة إلا لشربك .. فقم .. فان الموائد لكرا متك محدودة .. والملأ
الأعلى يتباشرون بقدومك عليهم .. والكروبيون يتهللون بورودك
إليهم .. وقد نالهم شرف روحانيتك .. فلا بد لهم من نصيب
جسمانيتك .. فشرف عالم الملكوت .. كما شرفت عالم الملك ..
وشرف بوطء قدمك قمة السماء .. كما شرفت بها أديم البطحاء .

قال : يا جبريل الكريم .. يدعوني فماذا يفعل بي ٠٠٠٩٩٠٠

قال : ليغفر لك ما تقدم من ذنبك .. وما تأخر ...

قال : هذا لي .. فماذا لعيالي وأطفالي .. فان شر الناس من

أكل وحده ...

قال : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (٢) ...

(١) سورة مريم - ٦٤ ...

(٢) سورة الضحى - ٥ ...

قال : يا جبريل .. الآن طاب قلبي .. ها أنا ذاهب إلى ربي .
فقرب له البراق ...

فقال : مالي بهذا ...؟؟

قال : مركب العشاق ...

قال أنا مركبي شوقي : وزادي توقي .. ودليلي أنا لا أصل
إليه إلا به .. ولا يدلني عليه إلا هو .. وكيف يطيق حيوان ضعيف
أن يحمل من يحمل أثقال محبته .. ورواسي معرفته .. وأسرار
أمانته التي عجزت عن حملها السموات والأرض .. والجبال ..
وكيف تطيق أن تدل بي وأنت الحائر عند سدرة المنتهى .. وقد
انتهى إلى حضرة ليس لها منتى .. يا جبريل : أين أنت مني .. ولي
وقت لا يسعني فيه غير ربي .. يا جبريل : إذا كان محبوبي ليس
كمثله شيء .. فأنا لست كأحدكم .. المركوب يقطع به المسافات
والدليل يستدل به إلى الجهات .. وإنما ذلك محل الحداث .. وأنا
حبيبني مقدس عن الجهات .. منزّه عن الحداث .. لا يوصل إليه
بالحركات .. ولا يستدل عليه بالاشارات .. فمن عرف المعاني
عرف ما أعاني .. هلم إن قربي منه قاب قوسين أو أدنى ...

فوقعت هنية الوقت على جبريل ...

فقال : يا محمد إنما جيء بي إليك لأكون خادم دولتك ..
وصاحب حاشيتك .. وجيء بالمركب إليك لآظهار كرامتك .. لأن
الملوك من عاداتهم إذا استزاروا حبيباً .. أو استدعوا قريباً ..
وأرادوا ظهور كرامتهم واحترامهم .. أرسلوا أخص خدامهم ..
وأعز دوابهم .. لنقل أقدامهم .. فجئناك على اسم عادة الملوك
وآداب السلوك ...

ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يوصل إليه بالخطأ وقس في
الخطأ !! ٠٠! ومن ظن أنه محبوب بالغطاء فقد حرم العطاء !! ٠٠

يا محمد ٠٠ ان الملاء الأعلى في انتظارك ٠٠ والجنان قد فتحت
أبوابها ٠٠ وزخرفت رحابها ٠٠ وتزينت اترابها ٠٠ وروق شرابها
كل ذلك فرحاً بقدومك ٠٠ وسروراً بورودك ٠٠ والليلة ليلتك ٠٠
والدولة دولتك ٠٠ وأنا منذ خلقت منتظراً هذه الليلة ٠٠ وقد
جملت الوسيلة في حاجة ٠٠ قلت فيها حيلتي ٠٠ وانقطعت وسيلتي
فأنا فيها حائر العقل ٠٠ ذاهل الفكر ٠٠ داهش السر ٠٠ مشغول
البال ٠٠ زائد البليال ٠٠٠

يا محمد ٠٠ حيرتي أوقفتني في ميادين أزله وأبدى ٠٠ فجئت
في الميدان الأول ٠٠ فما وجدت له أول ٠٠ وملت إلى الميدان الآخر ٠٠
فإذا هو في الآخر أول ٠٠ فطلبت رفيقاً إلى ذلك الرفيق ٠٠ فتلقاني
سيكائيل في الطريق ٠٠ فقال : إلى أين ٠٠؟؟ الطريق مسدودة ٠٠
والأبواب دونسه مردودة ٠٠ لا يوصل إليه بالأزمان المعدودة ٠٠
ولا يوجد في الأماكن المحدودة ٠٠ قلت : فما وقوفك في هذا المقام ؟
قال : شغلني بمكاييل البحار ٠٠ وانزال الأمطار ٠٠ وارسالها إلى
سائر الأقطار ٠٠ فأعرف كم أجاجها مدداً ٠٠ وكم تقذف أمواجها
أبداً ٠٠ ولا أعرف للأحادية عدداً ٠٠ قلت : فأين اسرافيل ؟؟؟
قال : ذلك أدخل في مكتب التعليم ٠٠ يصافح بصفحة وجهه اللوح
المحفوظ ٠٠ ويستنسخ منه ما هو مبروم ومنقوض ٠٠ ثم يقرأ على
صبيان التعليم في مثال : « ذلك تقدير العزيز العليم^(١) » ٠٠ ثم هو

(١) سورة الأنعام - ٩٦ ٠٠٠

في زمن تعلمه لا يرفع رأسه حياء من معلمه .. فطرفه عن النظر
مقصود .. وقلبه عن الفكر محصور .. فهو كذلك إلى يوم أن يتفخ
في الصور ...

قلت : فهل نسأل العرش ونستهد به .. ونستنتج منه ما علمه
ونستمليه .. فلما سمع العرش ما نحن فيه .. اهتز طرباً .. وقال
لا تحرك به لسانك .. ولا تحدث به جنانك .. فهذا سر لا يكتشفه
حجاب .. وستر لا يفتح دونه باب .. وسؤال ليس له جواب ..
ومن أنا في البين حتى أعرف له أين ..؟ وما أنا إلا مخلوق من
حرفين .. وبالأمس كنت لا أثر ولا عين .. من كان بالأمس عما
مفقوداً .. كيف يعرف روضة من لم يزل موجوداً .. ولا والداً
ولا مولوداً .. وهو سبقني بالاستواء .. وقهرني بالاستيلاء ..
فلولا استوائه لما استويت .. ولولا استيلاؤه لما أهديت .. استوى
إلى السماء وهي دخان .. واستوى على العرش لقياس البرهان ..
فوعزته لقد استوى .. ولا علم لي بما استوى .. وأنا والنرى
بالقرب منه على حد سوى .. فلا أحيط بما حوى .. ولا أعرف
ما زوى .. ولكنني عبد له .. لكل عبد ما نوى^(١) .. ثم إنني أخبرك
بقصتي .. وأبت إليك شكوى غصتي .. أقسم بعلى عزته .. وقوى
قدرته .. لقد خلقتني .. وفي بحار أحديثه فرقني .. وفي بيضاء
أبديته حيرني ...

(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما
الأعمال بالنيات .. وإنما لكل امرئ ما نوى .. فمن كانت هجرته إلى الله
ورسوله .. فهجرته إلى الله ورسوله .. ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو
امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ...
أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي ...

تارة يطلع من مطالع أبديته فينعمشني . . .
وتارة يدنيني من مواقف قر به فيؤنسني . . .
وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشني . . .
وتارة يناجيني بناجاة لطفه فيطربني . . .
وتارة يواصلني بكاسات حبه فيسكرني . . .
وكلما استعذبت من عربة سكري . . قال لسان أحديثه
« لن تراني » فذبت من هيبتة فرقا . . وتمزقت من محبته قلقا . .
وصعقت عن تجلي عظمتة . . كما خر موسى صعبا . . فلما أفقت
من سكرة وجدي به . . قيل لي : أيها العاشق هذا جمال قد صنّاه .
وحسن قد حبيناه . . فلا ينظره إلا حبيب قد اصطفيناه . . ويتيم
قد ربيناه . . فاذا سمعت « سبحان الذي أسرى بعبده »^(١) . . فقف
على طريق عروجه إلينا وقدومه علينا . . لعلك ترى من يرانا . .
وتفوز بمشاهدة من لم ينظر سوانا . . .
يا محمد : إذا كان العرش مشوقا إليك . . فكيف لا أكون خادم
يديك . . .
فقدم إليه مركبه الأول : وهو البراق إلى بيت المقدس . . .
ثم المركب الثاني : وهو المعراج إلى السماء الدنيا . . .
ثم المركب الثالث : وهو أجنحة الملائكة من سماء إلى سماء . .
وهكذا إلى السماء السابعة . . .
ثم المركب الرابع : وهو جناح جبريل عليه السلام إلى سدرة
المنتهى . . .
فتخلف جبريل عليه السلام عندها . . .

(١) سورة الإسراء - ١ . . .

فقال : يا جبريل نحن الليلة أضيافك .. فكيف يتخلف الضيف
عن مضيفه .. أهتنا يترك الخليل خليله ...

فقال : يا محمد .. أنت ضيف الكريم .. ومدعو القديم ..
لو تقدمت الآن بقدر أنملة لاحتقرت «وما منا إلا له مقام معلوم»^(١)»

قال : يا جبريل .. إذا كان كذلك ألك حاجة ...؟

قال : نعم ...!! إذا انتهى بك إلى الهييب حيث لا منتهى ..
وقيل لك ها أنت .. وها أنا .. فاذكرني عند ربك ...

ثم زج به جبريل عليه السلام زجة فخرق سبعين ألف حجاب
من نور ...

ثم تلقاه المركب الخامس .. وهو الرفرف من نور أخضر ..
قد سد ما بين الخافقين مركبه حتى انتهى إلى العرش .. فتمسك
العرش بأذياله .. وناداه بلسان حاله .. وقال : إلى متى تشرب من
صفاء وقتك آمناً من معتكره ...

تارة يتشوق إليك حبيبك وينزل إلى السماء الدنيا ...
وتارة يطوف بك على ندمان حضرته ويحملك على رفرف رافته
«سبحان الذي أسرى بعبده»^(٢) ...

وتارة يشهدك جمال صمدانيته «ما كذب الفؤاد ما رأى»^(٣) ..
وتارة يشهدك جمال صمدانيته «ما زاغ البصر وما طغى»^(٤) ..

(١) سورة الصافات - ١٦٤ ...

(٢) سورة الإسراء - ١ ...

(٣) سورة النجم - ١١ ...

(٤) سورة النجم - ١٧ ...

وتارة يطلعك على سرائر ملكوتيته « فاوحى إلى عبده
ما أوحى ^(١) » ***

وتارة يريك من حضرة قربه .. « فكان قاب قوسين
أو أدنى ^(٢) » ***

يا محمد .. هذا أوان الظمان إليه .. واللهفان عليه ..
والتحير منه لا أدري من أي جهة آتية .. جعلني أعظم خلقه .. فكنت
أعظمهم وأشدّهم خوفاً منه ***

يا محمد .. خلقتني يوم خلقتني .. فكنت أرعد من هيبة
جلاله .. فكتب على قائمتي لا إله إلا الله .. فازددت لهيباً
اسمه ارتعاداً وارتعاشاً .. فلما كتب عليّ محمد رسول الله ..
سكن لذلك قلقي .. وهدأ روعي .. فكان اسمك أماناً لقلبي ..
وطمانينة لسري .. ورقية لقلقي .. فهذه بركة وضع اسمك عليّ
فكيف إذا وقع جميل نظرك إليّ ***

يا محمد .. أنت المرسل رحمة للعالمين .. ولا بد لي من نصيب
في هذه الليلة .. ونصيب من ذلك .. أن تشهد لي بالبراءة من النار
مما نسبته إليّ أهل الزور .. وتقول عليّ أهل الخور .. فانه
أخطأ في قوم فضلوا .. وظنوا أنني أسع من لا حدّ له .. وأحمل
من لا هيئة له .. وأحيط بمن لا كيفية له ***

يا محمد .. من لا حد لذاته .. ولا عد لصفاته .. فكيف يكون
مفتقراً إليّ .. أو محمولاً عليّ .. فإذا كان الرحمن اسمه ..

(١) سورة الهم - ١٠ ***

(٢) سورة النجم - ٩ ***

والاستواء صفته ونعته ٠٠ وصفته ونعته متصلان بذاته ٠٠ فكيف
يتصل بي ٠٠ أو ينفصل عني ٠٠ ولا أنا منه ٠٠ ولا هو مني ٠٠٠
يا محمد ٠٠ وعزته لست بالقرب منه وصلاً ٠٠ ولا بالبعد
عنه فضلاً ٠٠ ولا بالمطيق له حملاً ٠٠ ولا بالجامع له شملاً ٠٠
ولا بالواجد له مثلاً ٠٠ بل أوجدني من رحمة منه وفضلاً ٠٠ ولو
مَحَقَّنِي (١) لكان فضلاً منه وعدلاً ٠٠٠

يا محمد ٠٠ أنا محمول قدرته ٠٠ ومعمول حكمته ٠٠ فكيف
يصبح أن يكون الحامل محمولا ٠٠ فلا تقف ما ليس لك به علم ٠٠
« ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسؤولاً (٢) » ٠٠٠

فأجابه لسان حاله ﷺ :

أيها العرش ٠٠ إليك عني ٠٠ فأنا مشغول عنك ٠٠ فلا تكدر
علي صفوتي ٠٠ ولا تشوش علي خلوتي ٠٠ فما في الوقت سعة
لخطابك ٠٠ ولا محل لعتابك ٠٠ فما أعاره ﷺ طرفاً ولا قسراً من
مسطور ما أوحى إليه حرفاً ٠٠ « ما زاغ البصر » ٠٠٠

ثم قدم المركب السادس ٠٠ وهو التأييد ٠٠ فنودي من فوقه ٠
ولم ير حافظك قدامك ٠٠ ها أنت وربك ٠٠ قال : فبقيت متحيراً
لا أعرف ما أقول ولا أدري ما أفعل ٠٠ إذا وقعت على شفتي قطرة
أحلى من العسل ٠٠ وأبرد من الثلج ٠٠ وألين من الزبد ٠٠ وأطيب
ريحاً من المسك ٠٠ فصرت بذلك أعلم من جميع الأنبياء والرسل ٠٠
فجري على لساني : التحيات المباركات لله الصلوات الطيبات لله ٠٠
فأحببت السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله وبركاته ٠٠ فأشركت

(١) مَحَقَّنِي - امحَقَّنِي - أفتناه ومناه ٠٠٠

(٢) سورة الإسراء - ٣٦ ٠٠٠

أخواني الأنبياء فيما خصصت به .. فقلت : السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين .. أراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ...

ولهذا قيل لأبي بكر رضي الله عنه .. ليلة أسري برسول الله ﷺ
إنه رأى ربه .. قال : صدق وكنت معه متمسكاً بأذياله .. مشاركة
في مقاله .. قيل : كيف ؟؟ .. قال في قوله : السلام علينا ..
فأجابه الملائكة .. أشهد أن لا إله إلا الله .. وأن محمداً رسول الله ..

قال : ثم نوديت ادن يا محمد .. فدنوت .. ثم وقفت .. وهو
معنى قوله عز وجل : « ثم دنا فتدلى^(١) » .. وقيل : دنا محمد ﷺ
في السؤال فتدلى .. فتقدم للرب عز وجل .. قيل : دنا بالشفاعة ..
وتقرب للرب بالاجابة .. وقيل : دنا بالخدمة .. وتقرب للرب
بالرحمة .. « ثم دنا فتدلى^(٢) » .. معناه : دنا محمد ﷺ من ربه
فتدلى عليه الرحي من ربه .. دنا لطافة .. فتدلى عليه رافة ورحمة
لا يوصف بقطع مفازة ولا مسافة .. قد ذهب الأئمن من البين ..
وتلاشى الكيف .. واضمحل الأئمن .. فكان قاب قوسين .. فلو
اقتصر على قاب قوسين لاحتمل أن يكون للرب مكاناً .. وإنما قوله
« أو أدنى » لنفى المكان وكان معه حيث لا مكان ولا زمان .. ولا أوان
ولا أكوان ...

فنودي :

يا محمد : تقدم ...

فقال : يا رب إذا انتفى الأئمن .. فأين أضع القدم ..؟؟ ..
قال : ضع القدم على القدم .. حتى يعلم الكل أنني منزّه عن
الزمان والمكان والأكوان .. وعن الليل والنهار .. وعن الحدود
والأقطار .. وعن الحد والمقدار ...

(١) سورة النجم - ٨ ...

يا محمد .. انظر ...

فنظر .. فرأى نوراً ساطعاً ...

فقال : ما هذا النور ...؟؟...

قيل : ليس هذا نوراً .. بل هو جنان الفردوس .. لما ارتقيت
صارت في مقابلة قدميك .. وما تحت قدميك فداء لقدميك ...

يا محمد .. مبدأ قدمك منقطع أوهام الخلائق ...

يا محمد .. ما دمت في سير الأين .. جبريل دليلك .. والبراق
مركبك .. فاذا ذهب المكان .. وغبت عن الأكوان .. وانتفى الأين
وارتفع البين من البين .. ولم يبق إلا قاب قوسين .. فأنا الآن
دليلك ..

يا محمد .. افتح لك الباب .. وأرفع لك الحجاب ..
وأسمعك طيب الخطاب .. في عالم الغيب .. فوحدتني تحقيقاً
وإيماناً .. فوحدني الآن في عالم الشهود مشاهدة وعياناً ...

فقال : أعوذ بعفوك من عقوبتك ...

فقيل : هذا لعصاة أمثك .. ليس حقيقة مدعى وحدتي ...

فقال : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ...

فقال : يا محمد .. إذا كل لسانك عن العبارة .. فلاكسونه
لسان الصدق « وما ينطق عن الهوى ^(١) » .. فاذا ضل عيانك عن
الإشارة فلأجعلن عليك خلعة الهداية « ما زاع البصر وما طغى ^(٢) » ..
ثم لأعيرنك نوراً تنظر به جمالي .. وسمماً تسمع به كلامي .. ثم
أعرفك بلسان الحال معنى عروجك عليّ وحكمة نظرك إليّ ..
فكأنه يقول مشيراً ...

(١) سورة النجم — ٨ ...

(٢) سورة النجم — ١٧ ...

يا محمد .. « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً^(١) » ..
والشاهد مطالب بحقيقة ما شهد به .. ولا يجوز له الشهادة على
غائب .. فأريك جنتي لتشاهد ما أعدته لأوليائي .. وأريك ناري
لتشاهد ما أعدته لأعدائي .. ثم أشهدك جلالي .. واكشف لك عن
جمالي .. لتعلم أنني منزّه في كمالي عن المثل والشبيه والبديل
والنظير .. والمشير .. وعن الحد والقدر .. وعن الحصر والعد ..
وعن الجوز والفرد .. وعن المواصل والمفاصلة .. والمائلة ..
والمشاكلة .. والمجالسة .. والملامسة .. والمباينة .. والممازجة ..
يا محمد .. اني خلقت خلقاً .. ودعوتهم إلي* .. فاختلفوا
علي* ...

فقوم جعلوا المزيّن ابني .. وان يدي مغلوله وهم اليهود ..
وقوم زعموا أن المسيح ابني .. وأن لي زوجة وولداً .. وهم
النصارى ...

وقوم جعلوا لي شركاء .. وهم الوثنية ...
وقوم جعلوني في صورة .. وهم المجسمة ...
وقوم جعلوني محدوداً .. وهم المشبهة ...
وقوم جعلوني معدوماً .. وهم المعطلة ...
وقوم زعموا أنني لا أرى في الآخرة وهم المعتزلة ...
وها أنا قد فتحت لك بابي .. ورفعت لك حجابي .. فانظر
يا حبيبي يا محمد .. هل تجد في* شيئاً مما نسبوني إليه ...
فراءه ﷺ بالنور الذي قواه به .. وأيده به .. من غير إدراك

(١) سورة الأحزاب - ٤٥ ...

ولا احاطة فرداً صمداً •• لا في شيء •• ولا على شيء •• ولا قائماً
بشيء •• ولا مفتقراً إلى شيء •• ولا هيكلًا •• ولا شبهاً ولا صورة •
ولا جسماً •• ولا مميزاً •• ولا مكيفاً •• « ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير^(١) » •• فلما كلمه شفاهاً •• وشاهده كفاحاً ••
فقال : يا حبيبي •• يا محمد •• لا بد لهذا الأمر من سر لا ينداع ••
وزمن لا يشاع •• « فأوحى إلى عبده ما أوحى^(٢) » •• فكان سر من
سر في سر •••

وصلى الله وسلم وبارك على أشرف مخلوقاته •• سيدنا ونبيينا
ومولاتنا محمد •• بحر أنواره •• ومعدن أسرارہ •• ولسان حجته
وإمام حضرته •• وعروس مملكته •• وعين حقيقته •• المتلذذ
بمشاهدته •• عين أعيان خلقه •• المقتبس من نور ضياءه •• صلاة
تحل بها عقدتي •• وتفرج بها كربتي •• وتفضي بها أربي ••
وتبلغني بها مطلبتي •• صلاة دائمة بدوامك •• باقية ببقائك ••
قائمة بذاتك •• صلاة ترضيك وترضيه بها عنا يا رب العالمين ••
آمين

(١) سورة الشورى - ١١ •••

(٢) سورة النجم - ١٠ •••

تمت شجرة الكون بحمد الله تعالى

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

ﷺ
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

والحمد لله رب العالمين ..

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم
تفسير الجلالين
جامع الأصول في أحاديث الرسول
صحيح مسلم
صحيح بخاري
الفتوحات المكية – محي الدين ابن عربي
فصوص الحكم – محي الدين ابن عربي
محاضرات الأبرار – محي الدين ابن عربي
سير الأولياء – صفي الدين الحسين الأنصاري الخزرجي
جامع كرامات الأولياء – الشهرستاني
بوارق الحقائق – بهاء الدين الشيوخي الشهير بالرواس
حجة الله على العالمين
الأحاديث القدسية
الروض المعطار في خبر الأقطار – الحميري
سيرة ابن هشام
كشف الخفاء ومزيل الالباس – اسماعيل العجلوني الجراحي

دائرة معارف القرن العشرين — فريد وجدي
أحياء علوم الدين — الغزالي
قصص الأنبياء — ابن كثير
في ظلال القرآن — سيد قطب
محيط المحيط — بطرس البستاني
القاموس الفقهي — سعدي أبو جيب
الموسوعة العربية الميسرة —
موسوعة المورد — منير بعلبكي
معارج القدس في مدارج معرفة النفس — الغزالي
الروح — ابن تيمية
كبرى اليقينات الكونية — محمد سعيد رمضان البوطي
الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وإفريقية — محمد ماهر حمادة
عصر الانبعاث — بطرس البستاني . . .
في سبيل موسوعة فلسفية — الدكتور مصطفى غالب
شذرات الذهب — ابن العماد الحنبلي
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — التتغري بردي
الأعلام — الزركلي
خطط الشام — محمد كرد علي
وفيات الأعيان — ابن خلكان
سير أعلام النبلاء — شمس الدين الذهبي
العبر في خبر من خبر — محمد بن أحمد الذهبي
مرآة الزمان ليوسف بن قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي
معجزة القرن العشرين في ثلاثية وسباعية أوامر القرآن الكريم —
الدكتور ابن خليفة عليوي . . .

الفهرست :

٧	مقدمة
٩	تصديـر
١١	١ - ولادته ونشأته
١٩	٢ - مراحل التحول
٢٧	٣ - جولات ابن عربي
٣٥	شجرة الكون
٣٧	مدخل الكتاب
١٠٢	المراجع

كتب صدرت للمحقق

- ١ - مثلث برمودا والأطباق العظيمة بين الحقيقة والأسطورة
- ٢ - أغرب القائل والشعوب بالقرن العشرين
- ٥ - رحلة جبابرة العقل البشري في كشف لغز مثلث برمودا ومثلث فورمورا والأطباق العظيمة
- ٦ - فضائح القرن العشرين
- ٧ - المسكونون بالشيطان
- ٨ - شجرة الكون

للمراجعة والاستفسار صر ١٢٨١٨



هذا الكتاب

إن الشيخ محي الدين بن عربي من أغزر الكتاب
المسلمين علماً. وأوسعهم أفقاً.. وأسبقهم إلى
العقيدة الفذة في ميدان دخل فيه الكثير من
قبله وبعده.. لكنهم لم يخرجوا بمثل ما خرج
به ابن عربي.. ولا مبالغة في القول.. بانه
يقرب بلاشك أو جدل من المسلمين الأعماق
غوراً والأكبر قدراً.. والأرفع أثرًا في مجال
تشكيل العقيدة الصوفية متلبسة بفلسفة سامية
وذلك بعصره وكل عصر...

رياض

To: www.al-mostafa.com